

رقم الايداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
2012 / 2 / 735

البيستاني، بشرى
خماسية المحنة - بشرى البيستاني - عمان: دار فضاءات، 2012

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.
* يتحمل المؤلف المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يجز هذا
المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN: 978-9957-30-313-6



الطبعة الأولى: 2012

جميع الحقوق محفوظة بموجب اتفاق
خماسية المحنة - بشرى البيستاني - الأردن
دار فضاءات للنشر والتوزيع - المركز الرئيسي
عمان- شارع الملك حسين- مقابل سينما زهران
تلفاكس: 4650885 (6 - 962) هاتف جوال: (+962)777/911431
ص.ب 20586 عمان 11118 الأردن
E.mail: Dar_fadaat@yahoo.com
Website: <http://www.darfadaa.com>

التوزيع في تونس
فضاءات للنشر والتوزيع - فرع تونس
شارع الهادي نوييرة، النصر II - تونس 2037
تلفاكس: 70 82 65 21 (+216) - الجوال 98 29 42 39 (+216)
E.mail: fadhahet@yahoo.com
Website: <http://www.darfadaa.com>

الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي الجهة الداعمة.
لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة
المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر

تصميم الغلاف: نضال جمهور
الصف الضوئي والإخراج الداخلي والطباعة: فضاءات للنشر والتوزيع

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي دار فضاءات للنشر والتوزيع.

خُماسية المحنة

بشرى البستاني

خُمَاسِيَّةُ المِحْنَةِ

2004 - 1968

أعمال غير كاملة



ما هكذا ينبغي أن تسيّر الأمور..

إنّ هذا يجب أن يُوقَفَ. !

الحب 2003

رواية شعرية

الإهداء :

إلى بغداد.....

بالجمال سنحمي العالم،

وليس بإمكان أية قنبلة أن تحطمَ قانونَ الجمال....

دستوفسكي

شهيّدُ على باب بيتي
وخصلةُ شعري معلقةٌ بالرياح
ومقصلةُ اللحم ملغومةٌ بالهديل...
حجرٌ أسودٌ في السرير...
وطائرةٌ في سماء المدينة ترصدُ خطوي..
وباسم الحياة تحاصرُ نبضي،
وباسم الحضارة توثقُ قيدي
وباسم الأمان تلاحقني بالرصاص...
.....
الصواريخُ تفتح جرحي وتودعُ فيه مزيداً من الموتِ
دجلةٌ مقفلةٌ،
والإشارةُ ما بين خطوي وشاطئها تتكسرُ
بين الردى والرجاء...
أخبئُ دجلةً في نبض أمنيّتي
وعيونُ العراقِ على جبهة الكونِ
نافورةٌ من دماء...
"وشبعاّدُ" وسط الدجى ساعدانِ
يضمان جرح العراقِ،

(1)
الملاعبُ مقفرةٌ...
مطرٌ أسودٌ في الدروبِ
" وشبعاّدُ" يوجعها النخلُ والرافدانِ،
ويوجعها الليلُ منطفئاً
والقناديلُ مجروحةٌ..
وحداثقُ "أور" تبعثرها القدمُ الهمجيةُ..
يومض وجه العراقِ...
وخلف أزيز المجنزرة الأثمة...
جثثُ الأمنيات تسابقني فوق دغلِ
يخضبه الموتُ،
أرصفةُ الليل بين ذراعيّ مزروعةٌ
بأنينِ عصيّ،

وتعويذة لمشاعله المقبلة...

.....

.....

(2)

تنطفئُ النجومُ وأدخلُ في الضبابِ...

كلُّ شيءٍ يتلاشى.....

إلا الأذرعَ المنسابةَ في ملكوتِ العلامة،

وإلا الأصابعَ الذاهبةَ في حقولِ التأسّي

أغصاناً...

ثمرها ثريّاتُ عتمةٍ تخاتلُ الضوء..

وثریاتُ ضوءٍ تخاتلُ العتمة...

لتدخلَ الروحَ في نشوةٍ أزليةٍ....

يا إلهي.. أما لاشتعالِ الشجرِ من نهاية،

وغضا السواعدِ ناراً من نشيج...

فكيف لمحنة العناق أن تتبدى...؟

ودائرةُ الوجد تُحكّمُ الطوقَ حولَ جيدينِ أسيرينِ بقضبان

المحنة...

ومحكومين بحمّى التواشج...

والزمنُ يترى..

عطشاً،

ومنضوياً في خلايا الوجع..

ضارباً، ومحكوما بإبداع الحرية...

وأنينُ العراقيينِ نايٌ يشكلُ تضاريسَ الوجود...

فيا أيتها الأمانى...

يا سرّ الكشف،

يا أذرعَ الرجاء...

حرريني من انبثاقِ عناقيدِ الحزنِ

تتساقطُ في فضاءِ الروح،

وهو يظهرني على الغيب..

إذ يصيرُ صدري بحراً وصدرةُ الأفق...

لا يلتقيان حتى آخرِ رعشة...

في الفجوة المقدسة بين الموت والبعث

لا يلتقيان.....

تختبئُ أصواتُ التساييح،

التعاويز،

الصواريخ

يختبئ هدير دجلة،

خريف الفرات،

وجع الزاب...

وآلاف الجداول تأتي ولا تذهب.....

يختبئ نسيح الدغل،

همس الأناشيد،

أنين "نباذا"

ممددة على سرر الذهب من ستة آلاف عام...

عند رأسها وتحت قدميها تقف الجواري،

ويحمل لها الفتية خمرة العصور بقوارير الفتنة..

"وبارا - آرنون" ابنة الملوك، زوجة الملك...

تقف باذخة على قمم العراق،

هكذا... على الكرسي تجلس ابنة بابل..

والعرش الملكي باذخ بها....

عندما عملت كل ما هو رائع وجميل

وبنت منارة التاريخ باركها الإله...

فقدمت تلك الألواح الذهبية هدية للبشرية

من أجل حياتهم...

وظلت الملكة "كوبابا" تمنح الخمر عبر العصور ليسكر

العالم....

وعندما انتشى بخرتها الطغاة التفتوا إليها

قتلاً واجتياحاً ونهباً حتى جفت الصحف..

لكن "كوبابا" الملكة، التي ثبتت كينونة البشرية...

ظلت ملكة على عرش الدنيا.....

فتحت المجنذة الأمريكية عينيها بدهشة رعب..

ونادت زميلها الطبيب المجند....

وحكت له قصة الملكات العراقيات عام 2700 قبل

الميلاد...

نظر المجند الأمريكي في أوجها الباذخة خجلاً ثم

انصرف...

أيها العراق..

أيهما أكبر خطابك أم النص؟؟.....

ادع "بارت ودريدا وفوكو" لجدلهم...

وأختبئ في غبار الحرية وهو يمسح عن السلاسل أمجادها...

أختبئ في سنابل المحنة....

أختبئ في مياه صدرك وأعرف كيف أموت.....

....

ألست وعدتني يا قلبُ أني

متى ما تبتُ عن ليلى تتوبُ..

فها أنا تائبٌ عن حبِّ ليلى

فما لك كلما ذُكرتُ تذوبُ..

.....

لكنني أستسلم لقيد عذابك ولا أتوب...

في عبير عشبك أبصرُ مسالكَ وممالكَ...

وفي ذرّات رملك يطلُعُ فرسانٌ..

يخاصرونَ شجري

ويصنعون من زنابق الصحراء أكاليلَ

تتوجُّ ضفائرَ أحلامي...

فانهضي أيتها الأنهارُ،

النجومُ،

العيونُ،

الكرومُ،

الكلومُ

الأقبيّة....

انهضي يا بخورَ الخوفِ من كهوفِ الجسدِ،

كي تفكّ اللغّةُ إسارها،

وتكسرَ قيدها التراتيلُ...

انهضي أيتها السواعد الصدئة..

يا غيومَ البراعمِ المخمورة..

لعلّ الأقداحَ تعلنُ العصيانَ،

من أجلِ خمرةٍ تهبُّ الحرية...

انهضي أيتها الأجنّةُ النائمةُ في دم العذارى

شوكاً مرأً وثعابينَ من مسدّ..

انهضي يا أحجارَ "ثمودٍ"،

يا صرصرَ عاجرٍ،

يا نخلها المنقعر..

انهضي يا فتنة الناقة،

وافتحى الدوائرَ المقفلةَ يا أسورة امرأة العزيزِ

فقد آنَ للنسوة أن يداوينَ جروحَ أيديهنّ..

وآنَ للسكاكينَ أن تسقطُ..

انهضي يا فتنة الناجين،

فأنا بحاجة إلى من يحملني على يقطينة الخلاص
في طوفان آخر المطاف..

وتكوّري يا شمس هذه الكرة المنكفئة بلعنة الطغاة
تكوري فأنا أنتظر قيامه الملكوت
كي يطهرّ الماء سعيّر المحنة.....
أنضوي تحت جناح القمر كي ينشق
وأرضع الصبير حليبي...
فيتساقط اليمام من شجر الكلام،
وينهض البرق في عيون شهيد
لم يستطع أن يلحق بموكب عرسه
لأن أصابعه ظلت متشبثة بدغل الأرض
حينما كانت الرصاصة الغريبة...
أقرب من عبير العروس..

(3)

في الصباح استلمت رسالة عن طريق النت من جلالة الملكة
"انخدوانا "

ابنة الملك العراقي "سرجون الأكدي" تقول :

إنها تعباً من الحرب..
وإن الزراير لم تعد تغني في عرشها من زمن...
وإنّ الجنة ضاقت بورود قادمة من العراق..
"وحمورابي" يقف باذخاً فوق أسوار وقصور بابل
مؤشراً بالخط الأحمر...
بقلمه العراقي تحت الحقوق الإنسانية التي دبجتها شرائعه...
والتي انتهكتها شرائع نيويورك بعصي رعاة البقر...
تلك التي تحولت إلى حمم بركانية تقذفها بارجات الحضارة
على ورود نيسان العراق..

هل رأى حمورابي ما فعلته الدبابات الأمريكية بأسوار بابل..؟
ثار العالم ثورة دونكيشوتية على عشرات الآلاف من القطع الأثرية
النفيسة التي سُرقَت من متاحف العراق، وناشد المختصون منظمة
اليونسكو ومراكز حماية الآثار الحضارية،
لكن الدبابات **الأمريكية** ظلت تخرب أسوار بابل..
وظلت تهدم شرف قصورها المفتوحة على الأفق،
وظلت الحرية والديمقراطية الأمريكية وقوانين انتهاك حقوق الإنسان
سارية المفعول..

يضيق بنا السجنُ الذي تبلغ مساحتهُ أربعمئةً وثلاثةً
وخمسين ألف كم
يضيق بسهولة وأنهاره وهضابه، وتتكفى نوافذه..
ووراء النوافذ أنتظرك...
بشجني وشجري وأقماري...
وبالملائكة التي ترتلُ أوراها في غيم قلبي
أتشبَّثُ بهدوء الأنبياء.. أغثني.
لكنَّ الصواريخ تسقط..
فأسيرُ في جنازة عمري،
وأخبئك بين جفني وأغمض...
أزرعك في قطرة دمع..
فتفتحُ الثرياتُ أعينها...
تفتحُ الحقولُ دوحها...
تفتحُ العناقيد ثمرها...
تتشظى البحورُ ويشتعَلُ سمكها في قطرة دمع..
تفتحُ العروشُ بهاءها،
وتتهض بلقيس كاشفةً عن محنتها
وتسقطُ البلدانُ...

وأنا مذعورةٌ أفتحُ للريحِ صدري...
مجنونةٌ أنتزع السكاكينَ عن ظهر وطني..
ذبحوه في لعبة المدِّ والجزر..
وطني نهرُ دمٍ أخرسُ،
أتذكرُ شريانَ العنقِ،
تفاحةَ القلبِ،
نوافذ الجسدِ،
كلها تتدفقُ نوافيرَ دم يسألُ لماذا..؟
أتضوّرُ فوق رمل العذابِ بركاناً من زبد...
وأقولُ للصاعقة.. خذيني..
.....
.....
(4)
أدخلني خيمةَ صدركَ لأوقفَ الزمن...
أحملكُ على جناحيِّ نحو ثمانية العرشِ،
لعلَّ النار تطفئُ الخطيئة...
والخطيئةُ أن أغادرَ الرحمة،

مأخوذةً بشظايا الهشيم..
يفتح الطفلُ ذو السنوات الأربع عينيه ذعراً...
وبكبرياء الطفولة يموت..
انهضي أيتها الأرض...
كي يتسنى لهذه الرعشة أن تفرغَ أعمدةَ الوجود..
انهضي.....
واستلقي بين سواعد امرأة ورجلٍ يقتصان من القتلة....
وبحكمة الأصابع يعيدان تشكيل الكون..
انهضي...
وانسابي في أروقة الحنان دفناً أتشبت بأردانه
حتى مطلع الخلاص..
انهضي تري أصابع المكيدة تتسلل في خلايا الوجود...
وتري قلائدَ الدمع تطوّق عنق الكون،
تتهدلُ فوق صدره عناقيدَ نارية...
ولا مفاتيح في النص..
ومقفلةً عيونُ الكتابة،
(5)

والرحمةُ أن أختبئ في صدركَ
وأعرفُ كيف أموت.
ونخلةُ الصحراء تبكي وصبّ القیظ...
لكنّ الواحة تختبئ في جنح فراشة،
وتظل النخلةُ تلوب..
أأنت الواحة المختبئة في أجنحة الفراش؟
على سجادة عبيرك أصلي..
في رقصة الموج المنسرح على لحن الموت...
على أسوار العطش إذ يقتربُ البوح من السكين
ويسكت إمام الغناء داؤد..
على معراج النشوة..
في تسايح القبض والبسط،
في ذرى جبل اللغوب...
على جسر اللوعة إذ أتسلق أعمدة الحمى..
أصعدُ، أصعدُ،
يشخص البصرُ، وتتصعق أعضائي،
وفي ترنيمة التوحّد أهوي...
إذ يأخذني العصفُ إلى القاع أتحسسُ وجه الحياة

يوم قامت قيامة الصواريخ ضاعت منازل القمر،
وارتبكت النجوم...
ونهدت جبال القرايين...
على قمتها يضربُ قابيلُ يداً بيد..
يجري لا مستقرَّ له،
يعدو لا مواقيتَ أمامه..
يبكي.. فلا يجدُ الدمعَ.....
نوافيرُ النار تجتاح مساربَ الكون وتصمتُ النواعير..
اختبئ في أوراق الشجرِ،
وأدخل ذراتِ الرملِ أداوي جروحها...
ينفرشُ جسدي على أرض العراقِ
ينفرشُ،
يزودُ عنه الشظايا ويطفئُ بالدم حرائقه..
في الفجر أحمله بين ذراعيّ،
طفلاً معروقَ الجبين...

وأقولُ للنجوم المعلقة على كتف الأمريكيّ :
ستطفئين..

أنزغُ في قطرات المطر..
أخبئُ غرناطةً في دمي،
أعبر بها إلى المدرسة وأحملُ القدسَ نرجسةً محمولة...
أعلقها على صدور الناطقين بـ (لا..)
فلا تخجلُ القنواتُ الفضائيةُ، ويستشهدُ على الأرصفة بائعو
خبز الفقراء..
أبحثُ عمّن ينخرُ السفينةَ ليعبرَ بها إلى الطرف الآخر...
لكنَّ الصمتَ يراودُ مُقلَ الكلام وتهوي الصواريخ..
عصفها في أعماق الليل يدوي :
اقتلعوا أسسَ بابل.....
أمسكوا أطفالها واضربوا بهم الصخرة..

(6)

على وجنتك تشتعلُ شفتي...
أغمضُ عينيّ فألمسُ الشهبَ وأسيرُ على الماء..
على وجنتك تشتعلُ شفتي،
أدخلُ شباك الفتة وتسقطُ الحجب..
وفوق كتفيّ تنفرطُ عناقيدُ اليمام صرعى

هوادج ليلها ترخي الستورَ على ثقوب القلب
ما نقصت حوافيها
بل اهتزت فيافيها وغادرها اليباب.....
.....
ألقتُ فأجدكَ ورائي..
.....
هابطاً من وجع الغيم ومن برق القيود..
صوتك الماء وعيناك الحدود..
وأنا أقهرُ تاريخ الشهادة،
بتضاريس.. الوعود..
.....
تأخذني ذراعاكَ نحو القاع على موج أحمر..
أتشبَّثُ بأنواركَ، وأكبو..
تأخذني ذراعاكَ إلى شاطئ المحنة..
ننام وسط اللؤلؤ والمرجانِ،
ونمسكُ بأطراف الأرض..
نتشبَّثُ بأذيالها كي لا نضيع..
أنحني فوق جرحكَ قوساً من رحمة..

وأغيبُ في حمى العبير..
.....
والأرضُ فاتحةُ الحقيقة والطريقة والمعاد..
الأرضُ قارعةٌ وهاديةٌ....
وهامدةٌ وضاريةٌ..
وترديها النسائمُ
إنها الأرضُ، الريحُ، الصيفُ،
دفعُ شتائها موجُ العبير..
خريفها بوحُ النوافذِ،
بهجةُ الميلاد تملؤه بأسراب الإشارة،
إنها الأرضُ الحقيقةُ والحضورُ،
هي الغيابُ..
والأرضُ تدركُ سرَّها،
لكنها لا تمنحُ المفتاحَ،
هذي الأرضُ قاهرةٌ وطبيعةٌ لعوبٌ..
والأرضُ ضاريةٌ وحانيةٌ،
وفارعةٌ طروبُ
صعبُ مراميها،

لا فجرَ كي أرخي ضفائركِ النبيّةَ فوقهُ
لا فجرَ كي أرخي عليه ضفائري...
قتلاكِ يمحوون التقاويمَ الأسيّرةَ بين سيّافِ
يجيءُ من الشمالِ وبائعِ الأكفانِ في ليلِ الجنوبِ...
وطني...
دليلي ذلكِ الحلمُ المريبُ
وشذّي قميصَ الجبِّ معقوداً برائحَتينِ
دجلةَ والترابِ..
عاد الغرابِ..
لا مأوى في هذا الخرابِ
لا مأوى، ليلُ الموتِ،
أضرحهُ تقومُ مآذنُ تكبو،
وتتهضُّ لعبةٌ أخرى...
وتصحو فتنةٌ أخرى
وأكبو بين صاروخِ وجالوتِ..
وأنهضُ في الشظايا،
إنّ رائحةَ الغريبِ
تلوّثُ القدّاحَ،

فتضيقُ المدنُ ويغيّبُ الدليلُ...
وفوقِ صدري يهبطُ رأسُكَ طفلاً مخضّباً بالفتح..



أيتها الأرضُ التي تموجُ فوقِ الغيمِ...
أيتها الأرضُ التي تنامُ تحتَ الضيمِ...
أيتها الجسورةُ المعطاءُ
لن تسقطَ الأورادُ يا سيدتي
عن شجرِ الرجاءِ...
أو يكشفُ الزمانُ عن أسرارهِ لطائرِ الضياءِ..
أيتها الأرضُ التي تنامُ في العراءِ
عصيّةً.

غراءِ..

مرّي على الحمائمِ الشريدةِ
ولوّني الفصونَ بالعطاءِ...



تهبطُ الصواريخُ، تهبطُ
وأسمعُ نشيجَ الأرضِ..
ويا وطني..

عطرُ الليل يسرقني من الأدران والأوثانِ
ساعداً البهي
يشدُّ عظمي،
طفلةٌ تعدو، تلاحقها الشظيةُ،
يدخلُ السرُّدُ الأثيمُ...
والأرضُ " نيدابا " الغلالِ
حقولها دلتا "العراقِ"
وألفُ نهر شقُّ في جسد التراب وشائع
الحرف الأثير...
شفيعةُ الأسرار "نيدابا" وآلهةُ الحصادِ
حقولها وردُ العلامات السجينةُ
طينها العرفانُ والأسرارُ والأنوارُ
نيدابا" على سُررِ الحرير...
تبكي غبارَ مدينة ضاعتُ وفي أحشائها
تاجُ ملوكيَّ له جنحانٍ..
في أحشائها أسدٌ يمور...
.....
أسدٌ يتشكّلُ جسدهُ السفليُّ من موج فيضانِ

ويريضُ أسدان عن يمينه ويساره
أسدٌ تجلّت له امرأةٌ تمسكُ بيدها قلماً ذهبياً
وتمعنُ النظرَ في لوح طينيُّ ترسمُ عليه السماءَ ونجومها...
ترسمُ بلادي وفي ظهرها السكين...
ترسمُ بلادي،
تشقُّ في كفها الأنهارَ وفي سمائها تنثرُ
الأقمارَ، وتزرع في ترابها كنوزَ المحنة..
حاملةُ القلم بلادي..
حاميةُ الكشف والعرفان والمعرفة،
وحصنُ " ايدوبا " المدرسة...
بلادي.. قلمُ "نيدابا" الذي يقولُ ما يحجبه النسيانُ
"عشتارُ، عشتارُ"..
لتشرقُ شمسُ الألواح في فجر العراق وليفتح الشرقُ محارةً....
ففي لآلئ المحارة يكمنُ دمُ النساء...
مسفوحا على مذابح الخصوبة في دروب الديمومة،
قرايينَ لرموزِ الخصبِ :
سيداتِ "سومر وأكد وأشور وبابل"
في معايدِ "سين" و "إينانا" حيث يفوح الخصبُ..

(7)

صوتك الماء وعيناك العلامة..

و"إينانا" أنا..

ناهضة في قيامة الحب...

كفٌ على شرف الخليج ،

وأخرى تمسك بروق الساقية..

وساعدك أجنحة الأفق..

اخبئي في ظلالها ، وأعرف كيف أموت..

والأرض تكتب بالشجر :

مداها الخمر

نونها الوجد

وميمها الكشف...

وصلاتها دوار النشوة..

والنظر في وجه الأرض عبادة

والغربة في عينيك شهادة

والتمني انخطاف الروح في شراك الجسد،

حيث أنحني فوق جرحك قوس حنان تجري من تحته الأنهار،

وينهض النخيل، وتدور المدن..

ولائبة أرضي،

وعيدي مختبئ في جوف حكمة

لا تصمت إلا لتجلي...

.....

تنحني الروح فوق صدرك قوساً

تتفرط من سواعده النجوم،

وينهمرُ وردُ الحدائق..

والعراق حديقة رוחي

أهرب من أروقة عذابه بنيراني

سمكة مذعورة تضيع في الصحراء..

وحبك صحرائي..

أصلبُ على أعمدة ضيائها ولا أموت...

حبك صحرائي، أزرع في ذهب رمالها بذور الحب،

فيطلع زيت أسود يحرقني،

تأخذني أغصان اللهب بعيداً

وأموت بحمي الوجد..

◆◆◆

بريمر، اندرسن، جورج بوش، شارون، ديفيد، شالوم، جفت
الصحف...

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس... ولم يسمز بمكة سامر
يسرّخ الليلُ شعره فوق جروحنا،
والصواريخُ تسقط...

تفجّرُ المقابرُ بحثاً عن أسلحة الدمار الشامل
فتطأيرُ الجثثُ جماجمَ
وأشلاءَ صدورٍ وسواعدٍ..
يأتيها الصبيةُ بفكِّ سفليٍّ وأصابعٍ عظمية..
وأشلاءَ كتفٍ أنثويٍّ
ما جفَّ فيه العبيرُ بعد..

يأتونها من سطوح الحيِّ المجاور للمقبرة
بعظامٍ محاجرٍ وجماجمٍ لصبياتٍ
ما زالت خصلُ شعرهنَّ تتهدّلُ،

تذكرني بأول ضفيرة قصتها لي أمي،
وعلقتها على كتفٍ سريري بشرائطٍ حمراء..
أمي قصتْ ضفائري الطويلةَ كسنابل نيسان،

لترى كيف ينهمرُ شعري على كتفيّ شلالاً
كصوت فيروز وهو يوقظُ موج الخطيئة :

يا مواويلَ الهوى....

يمّا يا مولياً

ضرب الخناجر ولا..

حكم النذل فيا...

ولأول مرة لا أبكي غياب أمي،

بل أشكرُ السماء التي غيبتها،

كي لا ترى كيف يصرخ "الثورُ المجنح" احتجاجاً،

وكيف تُغضي مكتبة "أشور" خجلاً

وكيف تلوذ أنهار العراق بالضفاف..

.....

تسقط الصواريخُ،

تسقط...

ووقع الصواريخ يوجعُ قلبَ الأرض....

(8)

تحوّلت القبورُ إلى حفرٍ عميقة

يفسل أدران الصواريخ إذ تحفرُ
في الأرض مخابئ...
وتتكفى في أعماق الوديان بالشظايا...
وبين الشباك الغربية أبحثُ عن نوافذك التي رفضت أن تمدَّ
لي ذراعيها...
وظلت تعزفُ لحن الصقيع على أوتار الوحشة...
أبحثُ في أعماق الليل عن شرفِ قلبك...
التي ارتدت عباءةَ حزنها ورحلت
وبقيتُ وحدي أنظرُ إليها غائرةَ القدمين
بوحول الريبة..
أبحث عن وجهك قمراً معلقاً فوق النخيل...
.....
أنت..
تعلمني مرافئ الكشف...
تذهبُ إلى جذور النبض حيث تسبحُ
الفراشات لفصول العسل..
أنت..
تفتحُ مملكةَ الصخور وتغامرُ بتيجانها

وماتت الأسئلة في عيون العراقيين،
بلا دهشة ولا عجب...
لأن القصفَ مخصصٌ للمقابر هذه المرة...
فهم يهتمون بحقوق الأموات كذلك،
كيسنجر أعدُّ كتباً ورسائل ليؤكد
فرضية مهمة في الاستراتيجية الأمريكية،
مفادها أن التاريخ لا يعاودُ حضوره،
فلماذا يضربون الأموات بالصواريخ. ١٩
لكنَّ التاريخ يظلُّ ينبض...
حياً...
وبعينين سوداوين...
ولذلك جاؤوا بالبارجات إلى هنا..
التاريخُ يتوهجُ من جديد،
ولذلك يقتلون أمم التاريخ..
❖❖❖
تسقطُ الصواريخُ،
تسقطُ
والمطرُ ينهمرُ،

تفتحُ جروحَ غريبتى فتأخذكُ سواعدُ الهاويةِ
وأظلُّ على سفر...
في الليلِ أجدكُ تفتحُ صدري باحثاً عن
حبة القرنفل،
فأقفلُ على وجهك الضلوعَ، وأتساءلُ :
من منا خلُقَ من ضلع الآخر.....
وجهك الذي يستحمُّ في نور حزني،
أحاولُ أن أمسكُ وجنتيه فيهرب..
وجهك الذي يستحمُّ في مياهِ روحي
ويغفو فوق عشبِ صخورها،
وحينما أقترُبُ منه يغيب...
وجهك الذي يفتحُ جروحي،
في كل جرحِ فضاءاتٍ وحرائقٍ.....
ومواسمُ وقواصمُ...
ومدنٌ تتهاوى.....
وجهك الشاهدُ على الفتنة،
الشهيدُ في الفتنة
الذاهبُ،

الأيب..
وجهك شارةُ الرحيلِ وعلامةُ الفقدانِ...
ووجعُ الغيابِ...
رحيلي أنا،
وفقداني أنا،
ووَجعُ روحي....
.....
عنقودُ دمعٍ ينتظرُ أصابعك...
أصابعك تورقُ فوقِ وجنتي...
أصابعك تحتسي وجعاً من أنينِ روحي
أتذكر الهدليَّ وورقهُ النضر،
ودرويشَ وأغلالَ حبه.. وأبكي
تكادُ يدي تندى إذا ما لمستُها:
وينبتُ في أطرافها الورقُ النضر..
هكذا نعبُرُ في الطريقِ مكبلينِ نحتفلُ باحتلالِ العالمِ
ويا حبهُ زدني جوى كل ليلةٍ
ويا سلوةَ الأيامِ موعداً الحشرُ

(9)

جبالك، هضابك، سهولك
تتسابُ في أعماقٍ روحي

كشوارع الحزن الممتدة ما بين فكرة وفكرة..
وبين جرح وسكين....

وأعدو خلفك..

تحت ضفائر الصنفاصِ

في حقول الليمونِ

في الغابات الضارعة حول دجلة تسبح بحبك

في قباب المحنة وهي تضم اشتعال جرح الموصل..

في براكين اللجين المنهمرة من شلالات جبالك

أداوي وجع الشقائق الحمر الطالعة بوقع خطاك في رمل

روحي

أتشبثُ بوجع النخيل:

جرّحني..

كي أحسكّ معي...

هناك في جذور وجد أبي الخصيب،

في بصرته التي ظلت عيون سماواتها تطبق الأجفان علينا..

.....

.....

أعدو خلفك في منعطفات الليل،

وفي قيظ المنفى

أعدو خلف ظلالك...

من دُبرٍ قد قميصك..

أشهد أنني كنت وراءك

أشعلُ أسماك الخلجانِ

أشقُ عصا الطاعة في أروقة السلطانِ

وأشهدُ كل نساء الحاشية الملكية

أنني من غلقت الأبواب

وأنني من أربك صفو الملك القابع خلف رماد

الجذب وحمى السنبلِ

راودتُ حقول حرائقه

استطلعت منابت جذوتها....

سقطتُ بين يدي مفارقها

القاراتُ توسوسُ في قبضة كفي فأروضها،

السجنُ أحبُّ إليك،

وتعلم أن حديقة قلبي أبهى...

عاد إلي بك السجن،

انكشفتُ صحفُ الوجدِ

الشاراتُ..

سقطتُ بين السجن وعرشِ الملكاتِ...

بيدأ حزنُ النياتِ وأنتَ معي..



(10)

وجهك يشرقُ في حدائقِ روحي

وجهك يتجوّلُ في فضاءِ روحي...

يزرعُ في حقولها قمحاً وشجرَ ياسمينٍ...

يصعدُ جبالها ويُخمد فتنةَ البلابلِ فيها

وجهك يهبطُ في وديانِ روحي

يُشعل في أدغالها حروباً،

ويُشيع فيها القتلَ والتتكيلَ..

وجهك يفتحُ فيافي روحي

ويطلق النارَ على غزلانِ وجدها وشجاها...

وأنتَ.....

ترسمُ لي خريطةَ الوجودِ وتعلمني إشاراته..

تفتحُ أنهاره وأسراره

ومواجهه وملاعبه....

وتدخلني معك في الرحمة..

حيث لا تبدأ بالأضالع كأول الخلق....

بل من بلاغة الأصابع...

إذ أكتشف كفي فساعدي فصدري.

وتحت كل همسة ينهضُ عضوٌ جديدٌ

حتى يتشكلَ الجسد...

بهياً، ومفتسلاً بالنيرانِ..

.....

أنتَ..

تفتحُ لي بوابةَ الخلقِ لأبصرَ بنورِ قلبي

كيف ينبعثُ الوردُ من صرخةِ النارِ..

تحملني فوق كتفك وسط انفجارِ المستشفيات..

إذ قذفونا في شوارعِ الليلِ

وحديدِ عارينِ إلا من الحمى

أخفي وجهك بين كفيّ وأخبئه في شغاف حبي
وأحنني فوقه قوسَ حنانٍ..

وعناقيدُ كراتٍ ماسيةٍ تتألقُ في العتمة ،
تتساقطُ على صدر الأرض بذوراً ترحلُ بثمرها الشائكِ إلى
هناك..

في المنعطفات الأمريكية المربكة والموغلة بالسواد...
حيث لم تنفع تحذيراتُ الزايث بيشوب..
ولا ماريان مور..
وفي الليل،

في الليل...

تهيمُ الصواريخُ فوق جسدي...

تسحقه كوردة بريّة لا تؤمنُ بالخطيئة...

وترفعه على رؤوس الشظايا

نافورة دم تلتخُ أردانَ البشرية...

كي يشعر العالم بالخجل مرةً واحدة

وينحني ولو كذبا لجرح وردة عراقية تنزف.

(11)

في أنين الأروقة المهجورة....

في القناطر الغامضة....

في الجداول النشوى..

في المنابع البكرِ ...

في دهليزٍ يؤدي، إلى فناءٍ، إلى فضاء..

أمعنُ النظر في سماءٍ لازوردية،

وأحاول أن أتذكرَ ضراعاتٍ أُمي

وهي تعرّجُ إلى السماء وكنتُ معها

هل دعتُ لي أن تمطرَ النجماتُ فوق جيدي وكتفيّ

وفوق حرير صدري فلاً وريحانُ...

وأحاول أن أتذكرَ

كيف أقنعت السماء أن تحملني على أمواج البحرِ

مجروحةً ظمأى

وأن تُدخلني في النعيمِ.....

وقلبك بحرٌ يؤرجحني، لأضيعَ

في لعبة المدّ والجزر...

بحرٌ قلبك...

وقلبي زورقٌ يجمعُ ورودَ الوديانِ

وينجو بها من أدران الجريمة....

بحر قلبك،

وقلبي غصنٌ مخلوغٌ من ضلع الكونِ

يقارعُ أمواجه..

بحرٌ قلبك، وقلبي ضفافه..

واثبةٌ جذلي .

ومسكونةٌ بالحنين..

وأنيبُ العراقيين نايٌ يشكّلُ تضاريسَ الوجودِ

ودعاءُ العراقيين حدائقُ تكشفُ للسماءِ صدرها

فيغمضُ وردُ الفجرِ على الندى

وتفرشُ أجنحتها الينابيعُ...

والصواريخُ تهوي،

تتفلقُ الجسورُ، تتكسرُ أعمدتها

وندخلُ في الغياب..

تنتزعني ذراعاك من شباك الحرائقِ،

وتكتبني فوق شرفِ الصبر..

أنت..

تمحو تواريخَ مدني،

وتكتب شجرها من جديدُ

أنت.....

تُعيدُ تأثيثَ روحي...

وتشيعُ في سكونها متعةَ الإرباكِ

أنت..

تمسحُ غوايةَ ضفافي،

لتكتبَ أسرارَ البحرِ عليها..

تفتحُ لي سواعدَ الجحيمِ لأدخلَ معك في التجربة..

قتلاً ونسفاً وحرقاً وتشريد..

حيث تنهضُ الأرضُ عاريةً إلا من إزار اللهبِ

تكتب سيرةَ حبها نقوشاً عل صدر الريح...

وتعدُّ الطغاةَ بحصانِ الهزيمة...

أمريكا..

إن يتبقَ شعرةٌ من وجودك على هذه الأرضِ

فستمتلئ البحارُ السبعةُ بدنسك،

أيتها الثملةُ بفجور حديدها،

على وهج النارِ استقرتُ فراشتها..

ووسط اللهبِ تناثرت رويداً

وما بين الكلمة والفعل تسترخي الظنون..
وما بين قلبك وقلبي تشتعلُ مسالكُ وممالكُ
لا يستطيعُ أن يصلها أحد..
هل أخذتك الموجةُ الغريبةُ مني..!
إذ يؤذُن مؤذُنُ الغرامِ، وتلوبُ السفن..
أنهضُ وسط الدوامة مفعمةً بالحريقُ
ووجهك حلمٌ هاربٌ،
وابتسامتي حلمٌ مثقوبٌ....
وفي صدري حفرةٌ فاغرةٌ فاها
أفتحُ ساعديّ لمطر العلقم
وأشتعلُ بالنداء..
هل أخذتك الموجةُ الغريبةُ مني..!
أنا....
زارعةٌ أولِ بذرةِ قمحٍ في دلتا الخلجان
أنا....
صانعةُ الألواحِ،
راسمةُ حروف الضياءِ
بارئةُ التاريخِ،

كي تعرفَ أن هذا المكانُ
لا يتسع لقلب صدئٍ وكفٍ بلا مفتاحٍ..
أمريكا..
كلُّ الأبواب مقفلةٌ
وألوانُ الصورة إلى زوالٍ....
.....
.....
أنت..
تزرع في أمومة الأرض أنوثتها...
كي تزهر زنابق حمراً
وقرنفلاً من لهبٍ..
أنت..
ثربكُ يقيني كي أضيعَ من جديدٍ،
ولا شيء في الزُّبر إلا ضوءُ قلبك وقلبي
فمن أين لي بعافرٍ لهذه الناقةِ،
وعاريةٌ إلا من أنين حزني،
إذ يمتزج الوجد بالعطر بالنار..
وإلا من جرحٍ يرفضُ المساءةُ...

مجرّحاً بشظايا القنابل،
ونابضاً في عيون المستحيل..
هل ستأخذك الموجة الغريبة مني..!
أصحو،
وجروحُ السؤالِ ظمأى..
أصحو..
والصحوُ دخولٌ في العتمة...
أصحو.. والصحو يقلقُ بلابلَ الفجرِ،
ويربكُ فرحَ التكوينِ في عيون الشجر..
فمتى أصحو وترقصُ في الكون التراتيل..! ١٩
❖❖❖

صاح صائحٌ في المدينةُ :
لقد قذفت الطائراتُ الأمريكيةُ في الأنهار
سموماً بايولوجية...
فأقفلوا صماماتِ المياه الخارجيةَ
وليكتفِ الناسُ بمياه بيوتهم حذرَ التسممِ،
أقفلنا صماماتِ الأنابيبِ وعطشنا.
جفّت النساءُ وبكى الأطفالُ، وأضرب الرجالُ

صانعةُ الحضارة،
مؤثثةُ الجمال..
أنا.. مانحةُ أصابعك الضوءَ،
معلمةُ قلبك الفتنةَ،
وكاشفةُ الحجبِ حتى ترى..
ماحيةُ الجهلِ أنا.....
صانعةُ الخمرِ،
مشعلةُ الوردِ
قارئةُ روحك حتى تشتعلَ الصحفُ
ومطلقةُ النعم حتى تذوق..
ومن ذاق عرفاً..

(12)

قلت.. هذا هو العطاءُ فأين الرواء..
وقلت.. دعي النارَ تشتعلُ فليس ثمة مناص..
وأنا لا أريدُ أن أنامَ كي يصمتَ أنينُ الجوارحِ،
لا أريدُ أن أصحو...
فما بين الصحو والنوم ينهضُ وجهك،

عن الوجع...

لأنهم إذ خرجوا للحرب لم يجدوا من يحاربونه،
انتظروا في الصحراء طويلاً،
لكنّ أحداً من الرجال لم يأت،
وحدها الصواريخُ جاءتْ مدججةً بالحرائق..
تهبط الصواريخُ،
تهبطُ.....

والأرضُ بشموخ الأنوثة تبتلعُ النار..

والناسُ يموتون وقلبي يتلفّت...

أمرنا أن نقولَ : نعم فقلنا : لا

وكنْتُ أُصدقُ أنْ ثمنَ (لا) في الأمرِ المعاصرة يساوي
خمسةً وعشرين مليوناً ، وتسعمئة ألفِ طنٍ من المتفجرات..

.....

قال المحللُ الأمريكيُّ (بعلميةٍ وموضوعيةٍ) :

المطلوبُ قتلُ ثلثِ العراقيين حرباً ودهساً واغتيالاً، وتهجيرُ ثلثهم الآخر،
والإبقاءُ على الثلثِ الأخيرِ (من المعوقين والشيوخ والأطفال) وهكذا يصفو
الجو لديمقراطية الشرق الأوسط الكبير..!

جوعٌ ودمٌ..

نُقلُ أبوابَ بيوتنا دونَ وداعٍ،

نتركها للصواريخ ،

ونذهبُ إلى حيثُ نموتُ مع مَنْ نحبُ،

ولا ندري لماذا نموتُ أو نجوعُ في زمنِ الحوار...

لا ندري لماذا يُقمعُ ويُحرقُ ويُجلطُ...

خمسةً وعشرون مليوناً وتسعمئة ألفِ عراقيٍّ،

ويحترقُ لحمُ دجلةَ والفراتِ.

والفضائياتُ العربية تلتقطُ صورَ النيرانِ،

وبعدها التقطت صورة خمسةٍ وعشرين مليوناً وتسعمئة ألفِ كتابٍ متفحمٍ

في قاعاتِ المكتبةِ الوطنية، وأشلاءَ خمسةٍ وعشرين مليوناً وتسعمئة ألفِ

قطعةٍ من اللقى النفيسة مسروقةً أو محطمةً في متاحفِ العراقِ،

لكنها لم تحفل أبداً بدواخلِ العراقيِّ المتفحمة،

وظلت ناره تسعر في الخفاء..

الفضائياتُ العربية تبني أمجادها على أشلاءِ **أحلامنا** وجثثِ أوطاننا،

والجامعة العربية لا تجتمع لأنها خجلةٌ من قذارةِ أردانِ السلاطينِ،

وأعضاءُ مجلسِ الأمنِ غادروا الغرفَ الأنيقةَ المملوكةَ بالدمِ وجلسوا أمام

القنواتِ الفضائية يتابعون أخبارَ التكيلِ بالعراقِ،

وفي زمنِ الحوار كذلك، لا يسألون.. لماذا!.

.....

من عصر السلاجقة حتى احتلال بغداد..... ثانيةً.

- هل احتلت بغداد ثانيةً.. يا سيدتي..؟

- نعم في الألف الثالث للميلاد.....

حيث تنتصب تماثيل الحرية...

.....

ينتفخ "السلطان" بالسلطة حتى تشم رائحة نتن

تبعث من أصغر الكراسي السلطوية حتى أكبرها

.....

قتلوا، سرقوا، أشعلوا كل شيء،

لكني ما أزال غنية بك...

يُسلمني فجر فجر..

وسماء لسماء..

وروض لروض.

ويسلمني قمر لساعديك.....

غنية أنا بك..

مواعيدك وجهتي،

وصوتك قبلتي،

وصدرك صحرائي...

ينكفي في صدرك وجهي، وتذبل كفاي...

وأقول : أحبك

فتقول..

يا أيتها الكلمة المطمئنة.. افتحي أبواب الجنة

وادخلي في الرضوان....

بعدها طارت طيور أغصان قلبي،

وتوضأت بالخوف جوارحي

وحاولت نسيانك،

ففرغت الغيوم من مائها،

وانطفأت النيران في الوديان..

(13)

في آخر انفجارات الفجر كان صوتك يناديني،

يسألني عن جذور "السلطان" في القواميس العربية،

لكن القواميس العربية ما تزال نائمة،

ولذلك أحلتك على "فوكو ودريدا"،

وعلى البراجماتية التي أغرقت العالم بوحول المداينة،

يحملها إرهابي شرسٌ ويخيفُ بها الكون،
ووطني تفاحةٌ غارقةٌ بالظلام..

فقد نسفت الطائرات المحررةُ آخرَ محطات الكهرباء....
وفي الألف الثالث للميلاد،

يفرق بلدٌ متحضرٌ عمرهُ سبعةُ آلافِ عام..
بملايينه الخمسة وعشرين وتسعمئة ألفِ إنسان، يفرقون بالظلام في
ظل الحضارة الأمريكية العتيدة...

يضرب "ابن رشد" مطرقة القضاء غضباً ويصرخ في
الفضاء..



(14)

في المساء انتظركُ كي نحولَ الليلَ ضحىً والأرضَ رماناً
مفتوحة...

ونقرأ باسم العلامة حمى التحول،
وفي نظرية "اقرأ" تأخذ الأشياءُ زخرفها
وتجلي الفتنة..

أضيعُ بذهبِ رمالها وأسكنُ عيونَ الغزلان..
أنتظرُ الملكَ الموكَّلَ بالولادة أن يخرجني على ريشةٍ من
جناحه...

كي أعودَ لنوركَ مرةً أخرى
صبيبةٌ يطلعُ في كل جرح من جروحها عملاقٌ
في رأسه وعلى كتفيه و صدره ألفُ عين،
طغى فانتزعت السماءَ عيوئه،
وأعطتها لصخورِ الجبال...

هكذا قالوا عن "السلطان" وظلتُ صخورُك مبصرة...
وجبالك ملاذي..

أختبئُ في كهوفها فيتلقني الوحيُ
وتحفُ بي الملائكة..

...

جبالك ملاذي،

أستسلمُ في كهوفها لأصابع الزمنِ

تقلبني ذات اليمين وذات الشمال..
كلُّ شيءٍ يزوي والأرضُ حقيبةُ نارٍ

الجداولُ تخاصرُ الشجر...
وأغصانكُ تخاصرني...
وتشعلُ ساعداي موسيقى كتفيك...
وقعُ رقصتي يشعلُ حشائشَ الوجود...
فيلتمعُ الندى في عيون الورد...
وأقرأ في متاهة العبير موتي
إذ تلتفُ السماواتُ في طيات شعري نواعير زرقاً
وتتهمكُ أصابعكُ بفرز ملكوتٍ عن ملكوتٍ :
تهبطُ على كتفيك طفلةً عيناها بخضرة النعيم
ووجهها بدرُ نيسان...
طفلةً في صدرها تلوبُ الشظايا
فلا تصرخُ أو تبكي بل تصمتُ وتموت...
.....

(15)

يقول الخليلُ بنُ أحمد ، ومن بعده سيبويه :
الملجأُ في الحرب..ملجأً ،
يعني حرمةً وملاذاً ومعقلاً ...

أنتظركَ ، أنتظركَ...
ما أصعبَ الانتظارَ في زمن الفتنة...
ما أجملَ الانتظارَ والطرقُ مقفلة...
الجبسورُ هاويةً ،
والصواريخُ تملأُ الكون.. لكنك تجيء..
فعلُ الأمرِ يراودني..
فعلُ الأمرِ يقرعُ أجراسَ دمي..
يوشوشُ جذورَ الأرض في دراما الربيع...
فتصعدُ الأروقةُ نحو سماءٍ عاشرة...
ويدوخُ الشجرُ بنشوة تعالي..
فعلُ الأمرِ يزعزعُ هالةَ التمتعِ ،
يشعلُ السردَ الكامنَ في عبق الترابِ ،
فأدخلُ في المضارع ،
وأغيبُ في رقصةِ المخاصرة...
الشمسُ تخاصرُ الأفق..
الأفقُ يخاصرُ المدى..
البحرُ يخاصرُ الصحارى..
النهرُ يخاصرُ المدن..

الملجأ حمىً وحصنٌ يُعدُّ في المدن لاعتصام الناس فيه....

يا إلهي.. قَرَّبْ ثَمَرَ الشَّجَرَةِ مِنِّي
كي أرممَّ بالعبير دمي،
يا إلهي.. لا تقربْ ثَمَرَ الشَّجَرَةِ مِنِّي،
كي أظل هكذا..
أفوحٌ بالنيران....

.....
أدخل جروحَ الشجرِ وأتبعثرُ بين خنجرٍ وسكين..
وبمهارة المغامرة تعاودُ الأشلاءُ نهوضها،
بحنوِّ الطفولةِ وحنينِ الحداثق...
ليس نزوةً ولا افتتانَ عاشقين...
.....

بل هي لؤلؤةُ الحكمةِ وماسةُ اليقينِ يجلوان ظلمَ العالمِ
ويوقفان انهياره الأليم...
أرسلتُ كاترين صديقتي البلجيكيةُ تقول :
كونوا أقوياءَ بالجمال الذي تمتلكون،
فالجمال كما يقول دستوفسكي سيحمي العالم،
وليس بإمكان أية قبيلة أن تحطم قانونَ الجمال....

في الساعة الرابعة من فجر الثالث عشر من شباط 1991 كان أطفال
العراق في ملجأ **العامرية** يغطون في نوم عميق....
تداعبهم الملائكة ويسرّحُ بهم غيمٌ عراقي...
في الساعة الرابعة من ذلك الفجر كانت **صبياتُ** الملجأ يحملن بمن يفكُ
ضفائهنَّ العراقيةَ السمرة،
في الساعة الرابعة من ذلك الفجر كانت ضحكات فتیان مكابرةً تجلجلُ
في المكان،
ضحكاتُ تقارع الخوفَ الرابضَ في الأعماقِ
وحشاً.. يبتلع كلَّ جمال الحياة وكلَّ بهجة فيها..

لكنَّ قيامة الصواريخ الأمريكية قامت في هذا الملجأ في تلك الساعة من
الفجر،
قامت قيامة الصواريخ واختلط اللحم العراقيُّ البريء
بجسيم الحضارة الأمريكية الغارقة بالدرن..
اختلطت جثثُ خمسة وعشرين مليوناً وتسعمئة ألف شهيدة وشهيد،
أطفالاً وصبياناً وفتياناً وشيوخاً من النساء والرجال،
وسألت أعراف الحروب وقوانينها عن مشروعية ضرب الملاجئ،
لكنَّ أحداً في زمن الحرية والديمقراطية لم يستطع أن يجيب...!

ألتفتُ ورائي فأرى الشمسَ تزحفُ على المدى
وأبصرهم يطاردونها.. مذعورين..

.....

تسقطُ الصواريخُ،
تسقطُ...
وأسمعُ احتجاجَ الأرض..

(16)

الماءُ مر،
الشجرُ مر،
قطراتُ المطر تأخذ شكلَ الدم،
أبصرُ سيولَ الدم في سقفِ غرفتي
في ممراتِ بيتي،
في شُرفِ قلبي
سيولُ الدم تلونُ خرائطَ روحي..
في الشوارع والملاعب،
وعلى الأرصفة بركُ دمٍ...
رفوفُ المكتبات تتزفُ دموعاً من نار،
المدارسُ تتهدمُ ثم تتحولُ لمعسكرات،
المستشفياتُ تُنهبُ وتحترق،
أشباحُ همجيةٍ تجتاحُ الجامعات،
أبوابُ المكتبات مفتوحةٌ على مصاريعها
أبوابُ المخطوطات،
حدائقُ التاريخ،

حينما كان قيس القيسي الذي لم يتوقع أية صعوبات يسعى لاستيراد (أقمشة أكفان) للعراق وجد نفسه يدخل في مناقشات مطولة مع وحدة العقوبات في دائرة التجارة والصناعة، وقد شرح لهم الهدف من هذه المادة قائلاً: إن هذا القماش لا يمكن استخدامه في شيء إلا لتكفين الموتى إنه خامٌ خاصٌ بالأموات، لا يمكن استخدامه كستائر أو ملابس، إنها أقمشة تكفين، إننا لا ندفن موتانا في ملابس أنيقة أو أحذية لامعة، إننا نغسلهم ونعني بهم ونضعهم في باطن الأرض ملفوفين في كفن.. بعد سبعة أشهر كاملة من تقديم القيسي الطلب، أبلغه "بيترماتن" من وحدة العقوبات أنه لم يصدر له ترخيصٌ بذلك لأن الممثل الأمريكي في لجنة العقوبات في الأمم المتحدة يمنع في الوقت الحاضر تصدير أقمشة الأكفان للعراق..

.....

الأشرطة الحارقة تحيلُ المؤسسات بطوابقها العامرة إلى
حجارة متفحمة،
الصواريخ تبديد الدولة من جذورها
لا دولة في العراق..
امرأة مبتورة الساعد تعدو..
تبحثُ عن طفلها بين الأنقاض..
يحاولون إيقاف نزفها فتصرخ :
لا أريد يدي، بل أريد ولدي..
خذي يا سماء الجريمة ما تبقى،
خذي،
افتحي أفواههم وصبي فيها أطنان النفط والكبريت والزئبق
والذهب
وصهاريح العذاب الذي لن ينطفئ أبداً
فقد أخطأت السماء إذ وضعت كل هذه الكنوز في أرض
العراق.....
أخطأت.....
وهم بشهامة المروءة الأمريكية يصححون الأخطاء..
هكذا قال المحلل الأمريكي عشية إعلان الحرب.. !

رياض الحضارة...
سواعد الجان تتلقف كل شيء
وترميه في الشاحنات المملخة بالوحول والدم...
وهي تحرقه إن لم تستطع حملهُ،
عناقيد الورد تتفحم.....
بقناديلها وأقمارها ونوافذها المفتوحة على الشمس،
شوارع الحب تحفرها الصواريخ،
خطى العشاق تبتريها الشظايا،
زجاج القصف يمزق أكف الأطباء،
صالات العمليات معتمة،
الصواريخ تهوي على محطات الكهرباء،
على إسالة الماء،
على معامل الأدوية والأغذية،
على الأحياء الكثيفة بالفقراء..
الصواريخ تهوي بحثاً عن أسلحة الدمار الشامل..
وهم بأسلحة الدمار الشامل يُبيدون العراق..
الأشرطة الأمريكية الحارقة تحولُ مؤسسات الدولة إلى
جمر يبيد كل شيء،

دخانُ الأرواح،
دمُ الأحلام،
جثثٌ، مداهماتٌ، احتدامٌ،
أبوابُ البيوت تُتَسَفُّ في أنصافِ الليالي،
البيوتُ العراقية تُسرقُ في أعماقِ الليالي
رجالٌ ونساء يُقذفونَ في المدرعات الأمريكية،
أطفالٌ يصرخون..
إلى أين، إلى أين.. ١٩
لا أحد يدري.....
أرفضُ، أرفضُ..

فالسجونُ السابقةُ لم تعد تكفي،
لأنَّ الديمقراطيةَ الجديدةَ تقتلُ وتسجنُ وتسفكُ الدماءَ من أجل أن تجعلك
تؤمن بديمقراطيتها وحدها لا غير..

فالدُمُ المخنوقُ بالنارِ كان دمي
والصوتُ المضرَّجُ بحليبِ الفزعِ صوتي،
وكلُّ شيءٍ يتهاوى...
الدولةُ العراقيةُ المبجَّلةُ تحترقُ،

أغمضُ عينيَّ.....
وأحلمُ بالملايين العربية تموجُ ما بين المحيطِ والخليج.. ترفضُ
قتل العراق،
أغمضُ عينيَّ وأبحثُ في المذيعِ عمن يصرخُ ويحتجُ ولو على
الطريقة الأمريكية،
لكنني أجدُ الصمتَ ملاذ الجميعِ
مدركينَ حكمةَ الموتى..
" الصمتُ من ذهبٌ "
لكنهم لم يدركوا أن الكلام لم يكنُ من فضة،
لأنه كان ماسةَ الحقيقةِ
وشجرةَ اليقين التي غيبتها الجريمة....
.....
دخانُ يملا التفاحةَ الحمراءَ الممتدةَ على أربعمئةٍ وثلاثةٍ
وستين ألف كم2
دخانٌ، دخانٌ..
دخانُ الصواريخ،
دخانُ المتفجراتِ،
دخانُ الحرائقِ،

بعمرها الممتدّ في أغوارِ التاريخ سبعة آلاف عامٍ...

كلُّ شيءٍ يتهاوى :

تأملت الصديقةُ بربرة أستاذة الأنثروبولوجي في الجامعات
الأمريكية

أسوار نينوى وتمتمت :

إنهم قتلة الحضارة يا سيدتي...

.....

لا جيشَ، لا شرطةَ، لا أمنَ، ولا مؤسساتَ

استراتيجية الاحتلال حلتُ الجيشَ والشرطةَ والأمنَ ومحت
النظم التي بجلها التاريخَ،

استراتيجية الاحتلال فكّكتُ وجود الدولة
حطّمتُ أعمدتها..

ملايينُ الرجال في الشوارع معطلون،

لا رواتبَ، لا تقاعدَ، لا ضمان...

كلُّ شيءٍ يتهاوى..

فابكين يا بناتِ عبد المطلبَ،

ابكين مجدَ الملكِ الغارب...

والغيمَ الذاهب...

والشمسَ الموزّعةَ بين القبائلِ...

ابكين زمنَ الوصل في الأندلس...

زمنَ الوصل في الغضى

زمنَ الوصل في عكا

وزمنَ تاج التيجان.. بغدادُ،

وأنت يا عراقَ المحنة...

جارك الغيثُ إذا الغيثُ همى..

ولقد همى الغيثُ

تماسيحَ نارٍ وحيثانَ حديدٍ

وثعابينَ لهبٍ.....

تسقطُ الصواريخُ،

تسقط....

تطّيرُ شظايا أصابعك

ملفوفةً بخُصلِ شعري،

أسمعُ في الأعماق صرخةَ جنيني...

فزعاً يمزّقُ أحشائي،

يحاولُ الهربَ، لكن إلى أين.. !!

ساعدك حول خصري يحاولان إيقافَ

نوافير الدم..

من الخاصرة،

من فصوص الصدر،

من العنق....

ساعدك يبحثن عن ثقب الرصاص

في جسدي

شلالين من دم...

أتعب،

أتعب....

أغمض عيني وأحتضن الأرض...

والقبائل نائمة

والخيام تمزقها الريح

بغداد مذبوحة في العراق،

السواحل مأزومة بالحجارة

والتمر يرفض أن يتساقط

بغداد تعدو.....

بأحشائها يتضور طفل جريح..

إشارات :

- أسماء الملكات العراقيات الواردة في النص هي أسماء تاريخية حقيقية.

- قضية منع استيراد الأكفان للعراق في مرحلة الحصار حقيقية وردت في كتاب استهداف العراق، العقوبات والغارات في السياسة الأمريكية، لجيف سيمونز، 128، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط1، 2003.

- كتب النص مطلع عام 2004.

كتاب العذاب

الغيمة هاربة من مائها
تحوم حولها نوارس ميته
وتكتنفها مكابدة بحر لجي يغشاه موج الخيانة
ويظللها عذاب إذا كشف جروحه
لم يكدرها ...

بشرى

وجلاء العلامة..

وحتى مطلع الجروح..

.....

.....

يرتد أنينُ الجذوع المجروحة.

أنينٌ لا ينتهي

ولا يصلُ أبدا

أنينٌ يُشعلُ كلَّ الطرق الموصولة

بأروقة القلب..

ذاهباً..

آيباً..

وبلا حدود..

والحزنُ ليس خيمةً،

بل حجرٌ يحترقُ ويُحرقُ..

وهل الزمنُ دائريُّ..؟

لم التبعثُ إذاً بين فكِّي رحي التواصلِ، والانفصالِ.

طاحناً سنابلَ الليالي الطرية،

في زوبعة تطرقُ أبوابَ الخطيئةِ

(1)

ينغلقُ الزمنُ وتتفصلُ مفاتيحُه..

وتشتدُّ كثافةُ إيقاعه حتى الاختناقُ

ينغلقُ الزمنُ بدائرتَه الحلزونية داخلَ أبجدية الروح..

عربةٌ مغوليةٌ تجتاح ما تبقى

.....

.....

تتفرطُ تقاويمُ الاغترابِ في ثنايا الوحشة،

وقليلٌ منك يكفي..

فأزح العتمة كي ينجلي الوجعُ

عن شغاف هذه اللحظة الباذخة،

وجعٌ يملكُ اللاعجَ

ويستوفي وهماً لا يتراءى إلا بانقسام الإشارة.

والنتام العبارة

ولأنه التتابع الذي يجري بلا توقفٍ، ولا نهايةً..
متدفقاً،
يجتأج في طريقه الأشياء والأحداث،
والدمع،
والدُمى،
ويقارعُ الحقيقةَ في نهوضها الباذخ
نحو تطويع الرمز،
واقترحام أسواره..
وعنونة سكونه المقيم..
هذه اللغة العصبية،
المستعصية،
الوجودية، المتجبرة
لغةً تخرقُ الزمنَ،
وتقفُ متعاليةً أمام جبروت الموت،
ولذلك رفضت أن تمنحني إياها..
وليس ثمةً مناصُ..
...
عيونُ القطيعة تتسعُ للتواصلِ،

على أعتاب زمن يلبسُ معصيةً أبديةً..
واللحظةُ سوداءُ..سوداءُ..
وظبيةُ الوجد طليقةٌ في فضاءٍ
تمتدُّ به الحيرةُ،
حتى تُؤخذَ لواعجُها بالنواصي والأقدام...
وظبيةُ الوجد..
تترددُ بالحرَق..
في جوانحٍ قد تهتكُ بالأمانى :
طريقٌ موحشٌ
وقلبٌ مستوحشٌ..
ومسقطُ رأس الحروفِ غوايةُ
فوسحُّ أروقة اللوعة
كي أقرعَ بابَ التسليم..
هناك أختبئُ في زمنك
هذا الزمنُ الكامنُ بلغة مضمرةٍ في جذور مخاضِ أليمٍ..
مواجههُ تتسابُ إلى الأمام دوماً..
وليس من طريقٍ إلى الورا..
لأنه البدءُ أبداً،

دعه يلوبُ،
يشتلُ،
يتلاشى،
كي تنهضَ حروفُ : أغثني..
أنا المصلوبةُ،
المفوفةُ بحبال الخيبةُ،
المطحونةُ بقطار الغوايةِ،
الغارقةُ بإثم قتل وذبح مدججينُ....
وعلى أطراف مقصلةٍ تعولُ..
أهوي بشجر الرحمة...
ومن يدخلُ شجرَ الرحمةِ
يجدُ صبراً تطاول نخيلاً باسقاً
هو صبرُ قلبي..
فمن يجمعُ ثمرَ الخسائرُ؟
ووليمةُ المكابرة تفرشُ موائدها :
صدوراً مثقوبةُ،
وقلوباً منحورةُ..

ولكابدة الفصل كليهما،
وقليلٌ منك يكفي،
قليلٌ..
وتتكشفُ الغوايةُ..
وتتجلي المفاتيحُ..
والوجدُ وحدهُ المطلقُ.....
لأنه ينتهي،
ولا ينتهي إليك..
ودريك هو الشوقُ الذي يُقلقُ
والوجدُ الذي يحرقُ،
والنارُ التي تحضُ جبلَ العصمةِ
فيأبها القائلُ : كن...
حرزُ شجرةِ الزقوم من أسر المحنةُ،
دعني أقل..
لتصيرَ الكلمةُ شجرةَ الكينونة..
ينبتق فيها السرُّ...
ليصير له جناحُ.. يقترفُ الحريقُ.
دع الصمتَ الثاويَ في هذه العروق يضطربُ

قال الملكُ ردّوها..
وطفق مسحاً بالسوق والأعناق..
مسحاً يقطع أكتاف المحنِ :
محنةً ..
محنةً ..

مسحاً يقتصّ من قتلة العصر،
ويواسي جروحةً..
وقليلٌ منك يكفي..

.....
.....
حصانُ الليل يقتحم الغابةُ
وكلُّ لحظةٍ ... كفنٌ يسريل أعمدة الوجود
حصانُ الليل مشدودٌ بأعنة الجسد..
جائياً فوق صدري
وأيةُ مكابرةٍ...!
تأخذني الصيحةُ فأكبو
والمعنى يتسريلُ الخطيئةُ
والدلالةُ إخفاقُ الروح في إدراكِ
كنه الأملِ ،

وعيوناً فقاً سوادها ،
عويلُ أمنيات مجففةً ،
ومناجلُ حريق لا تدخل في الزوال..
هكذا قالت صخرةُ جبل الرحمةً..

.....

(2)

مداؤُ الروح يحفرُ على جبين الحجرِ
فجوةَ دم..
وامرأةٌ مقطوعةُ اليدين
ترقصُ على سمفونيةٍ مذبوحةً..
تحفرُ في الزمن خرائطَ غير مهشم
يلتفت إلى الوراء فيخونه الرجوعُ ،
ويتريصُ به حاضرٌ مريب..
لا ورقٌ كي نكتب..
فامنحنا ورقاً نكتبُ فيه لمغول العصرِ
ولا وقتاً للتفاصيل..
والصافناتُ الجيادُ يرزحن خلف السورِ ،
وهل توارت بالحجاب..؟

لا تفقه الشجرة ما قيل....
لكن بومة حجرية في الطرف الآخر
تتحول الى عاصفة
تجتاح شرق الغاشية
ويواصل التناص نفي ذاته في لعبة الخفاء والتجلي
من اجل خلخلة سلطة الخطاب
في سماء ظلت صفراء قروناً
تتأرجح بين مطلق غائب،
ونسبي لا يحضر..
وأنبياء مفقودين..
وقليل منك يكفي..
فاسمع الصم..
كيف يفتح السجل،
وبداخله السموات مطويات على العذاب
وبداخله القهر، والقمع، والسطو،
وغربة النسق الذي ظل واحداً
رغم دعاوى التشريح والتفكيك
وطيور تنتظر أن تشرق الأرض
بنور ربها

والأمل خلخلة معطيات الروح
والخلخلة مجزرة القوانين في واقع
مضرج بالدم..
وهل أتاك حديث الدم..!
صبوة لا تتلفئ
وغابة تفرغ أحرشها طبولاً زئبقية
يحملها الليل فوق كتفيه..
معبأ بالصديد والحمى..
والوجع ليس شيئاً إذ يصير كل شيء
وسلطة الوجد نحاسية
لا تحترف التحويل والتعليق
وليس ثمة تماس..
.....
مداؤ الروح يشعل قبة في جورجيا
وأخرى فوق الدانوب...
ورجل أعزل،
يقول لشجرة هناك :
تلك قبة جدي مروان بن محمد الأموي
وسيستردها أحفادي

لكن السماء تؤثر أن تتساقط كسفاً
وتطوى السهول كطي السجل للكتب..
وتغمض عينيها النجوم
وقليل منك يكفي
فأنطق البكم في لحظة فادحة..
لحظة تمتلك شرائط ذلك العمى والتغيب
في بذرة يطلع في غصونها ثمر يقول :
خذوني إلى الجحيم..
والجحيم أن تحتجب..
الجحيم أن أحطم أغلفة القلب،
فلا أراك..
وأية مكابدة..!
أن أفق وسط المحنة يخونني الطريق..
والمعرفة ألم..
والألم حكمة..
والأرض تحتاج منا الخطى،
لتكون أرضاً،
والزمن يفتح ذراعاً لحرائقنا المسعورة،
كي يشكل كيانه..

إذ تنجلي اللحظات مبهورة بموج أرعن..
تخفت طبوله تحت الزيد،
وتعلو..
هذا الزيد المراوغ،
المر،
المراثي،
المكسور،
المجعد بسفالة أورامه المرضية..
والعواصف لا تأتي من البحر..
قلت لرجل كان ينفخ في بوق أبله :
لا تستبدل غواية بامرأة..
لكنه باعها فيما بعد بيومة حجرية
وكتبان صحراوي..
وكتب يقول :
البومة لا تسمع تراتيل الجسد
ولا تمتمات النهر،
فليس ثمة ما يقلق..
والبومة لا تبصر أيقونة السماء

بحصاها اللؤلؤي المبعثر في ريحانة الأفق
ولذلك تموت نائمة..

...

هل أتاك حديث الغاشية..
أسقط مغشياً علي..
تخونني العبر والمعابر

وتذوي التعاويذ..

وقليل منك يكفي..

ولؤلؤة خرساء تبكي في الليل
عقم محارثها المقلعة..

وزهر الجمر يتعلم في الجفون

وجمر حبك يكويني

جمر ينفرط عناقيد عنب ناري

في شغاف قلبي

ووجهك نبض الجحيم في دغل صدري

نبض ينهض غزلان فرح مذبوحة

في فضاء روعي..

غزلانا تنزف دما اسود

وتعدو خارج الركاب..
وصوتك..

خط استواء منه ينهض العالم
وفيه تتشكل الوهاد والوقائع
وتطلع الأنهار..

وعبرة ينسج الوجد لياليه المعجزات..
من جنوبه تمتد صحارى الكون،

وفي شماله تتأسس جبال تحمي ملك الله
أن يميد،

أو تمتد إليه يد الشيطان..

في حقوله تمام الطيور ظمأى..

وفي متاهاته تخلع المساءات أرديتها..

وتقذف نفسها وسط الموج.

ولا خلاص إلا بالحنة..

فكيف تكون المحنة هي الخلاص

الهي..!

...

فيا أيتها الملائكة الشهود..

تتفتحُ الغيومُ عن دهاليزِ رصاصيةٍ
تطلعُ في كهوفها صقورٌ بأنيابٍ من نحاسٍ..
وأظافرَ تطولُ، تطولُ
حتى تلفُ الكونَ بكابوسِ اسودُ
.....
.....

(3)

شجرٌ مذبوحٌ يعدو نحو الأفق..
وغصونٌ تساقطُ ثمرًا ميتًا في شُرْفِ قلبي
قلبي الذي خانته طيورُك..
قلبي الذي فرش أدغاله لتعبرُ
ونشر غيومهُ،
كي تستريحَ من عطبِ شمسٍ ماكرةٍ...
قلبي الذي افترس تفاعهُ دودُ المحن..
وانفرط يمامهُ في شهيقِ العاصفة...
والبرقُ يصرغُ أعمدة الكونِ
يصرعني البرقُ،
وأهْ....

أيتها الملائكةُ التي تفرشُ أجنحتها
فوق نزيفِ الشجر..
أيتها الملائكةُ التي تضمُّ بسواعدها
جروحَ الكون..
أيتها الملائكةُ التي تمحو الخطايا،
وتسجلُ اختناقَ الوردِ في صدرِ
ربيعِ خائف..
أيها الحفظةُ المطاعون..
افتحوا الأبوابَ لأجنحة الشهداء،
فالربيعُ محببُ.
يبعث عن سواعد الخلاصِ،
عن مفاتيح الأزمة في براعمِ
يسحقها الجفافُ

.....

رمالُ الزمن تختضُّ تحت قدمي
تتفجر براكينها دما يعفرُ أغصانَ الروح
ويجرح عيونَ الكواكب في سمائها العاشرةُ
فيرتدي الكونُ ثوبا احمر..
ويبدأ مسلسلُ الحمى..

والصهيلُ ينزفُ..
والموتُ الداخِلُ في النصِّ،
ليس كالموتِ الخارجِ منه،
واللعبَةُ كانتِ جِوانيةً،
مدمرةً،
آثمةً..
ذلك هو العقابُ..
أن تكذبَ كثيراً،
كثيراً جداً..
حتى تدوسكُ سنانكُ الخطيئةُ..
أن تكذبَ بهدوءٍ،
حتى تدخلَ غائلةً :
أعودُ..
وتتطفئُ الينابيعُ..
.....
في برجِ دمكُ تقومُ قِيامةُ الحجرِ،
وفي دمي تصولُ كفُّ غولٍ أخرسُ..

جماجمُ الألم تتكسّرُ في غورِ روحي
تمتد سواعدُ أخطبوطيةً
وصهاريجُ نارٍ معبودةٍ تبتلعُ قلوبَ العذارى
قرايينَ لهذا الظمأ الوثيِّ،
القابعِ تحتِ أقدامِ رضوى
المتحنِ بعقابِ أزليِّ..
الخارجِ من خيامِ القبائلِ إلى وصَبِ الصحراءِ..
والخياناتُ تترى..
وإشكاليةُ سؤالٍ يمزقُ عرى الجريمةِ..
أفي الجُبِّ أميرٌ،
أم بقيةُ غوايةٍ جفّت على شفةِ امرأةٍ ماتتُ
من الوجدِ..
التفتُ بغدائرها الثعبانيةِ،
فاختنقتِ الصبوةُ
واحتفى بذبولها السلطانُ
يومِ حصحصِ الحقِّ فبدا اعزلٌ،
راودتهِ المكيدةُ..

تزلزلُ الأرضُ زلزالها
تبتلعُ نواياهم..
وتُطلعُ ورداً احمرُّ..
يتفتحُ في عيون زمن يُلقي رداءه الداكنَ،
ويفتح ساعديه للمحنة،
ويقولُ..
ها أنا ذا..

.....
ينهضُ الزمن محتجاً على الصمتُ
والصمتُ جرحٌ دافئٌ يصل قلبك بضوء قلبي
.....
دغلٌ اخضرُ يرتعش في ضوء عينيك.
والصمتُ لحظةٌ كلام تلغي اللغة،
وتقتحم تفاصيلها..
الصمتُ لغةٌ كفيك اذ تقبضان مفاتيح لغتي
جبلاً.. اختبئُ في ظلاله وأموتُ..
.....
والصمتُ نبضُ شجرٍ غامضُ.

وتتبسط الحقيقةُ خلف سورٍ أرعنٍ،
وتبوح الوشائيات..
هكذا قال نداءً جبل العصمة ..
وقليلٌ منك يكفي..
فأورثني سنبلةً ادخلُ زمنها الأولُ
ولا أعادرُ
زمناً يجمعُ سلطةَ المكتوبِ،
ليؤسسَ براءةَ العالمِ..

.....
خيوطُ الحرير تشتعلُ في عبير رוחي
ورصاصٌ يمزقُ إغفاءةَ الشجرِ.
تنهضُ الأرضُ من كهوف الغفلة
تنهضُ الأرضُ بوحشية
تنهضُ الأرضُ فاغرةً فاها..
تبتلعُ صواريخهم
وشظايا آثامهم،
وألغامُ لعبهم النارية..

وحيرةٌ رؤى بيضاء تكتنفُ عبيركَ إذ تجئُ إليّ،
لتضييع الظلالُ في صراخِ صمتي،
وهو يشتعل بغواية الموت، وشهوةِ الدم..
منهمراً من فتنةِ روحك،
لطفولةِ روحي..
سنابلٌ صبرٍ مقتولٍ بفصولٍ منكسرةً
ومواسمٍ أتعبها الجفاف..
والصمتُ نخيلٌ شاطئٌ تحرقهُ شمسٌ جنوبيةٌ،
وتتربّصُ به لغةُ المكيدة،
فكيف أمسكُ بلحظات هذه اللغة...الهي.
وفي شفتيك تصمتُ جداولٌ مجروحةٌ،
وقوافلُ أضاعت حُداتها على الطريق.
وليس ثمة علامة..
والصواريخُ مراكبُ نحاسيةٌ تفترسُ فضاءَ الروح..
والسماءُ تركبُ سفنها النارية،
وتقلع..
ترتعبُ حقولُ الأمن في عيون هذه الأرض..
تمتطي جواداً أعزل.

بعد أن عقرت القبائلُ نوقها
وعبرَ دمها سالت الغنائم..
هل كانت الغنيمةُ بحجمِ جبلِ الخسائرُ
حجم : حا - ميم،
وهوتُ أرضُ عاقري النوق..
.....
(4)
تركضُ الأرضُ وراء الأفقِ
تطأير شررا كرةُ القلبِ
وتتفتح طرُقُ السماء..
تهبطُ النازعاتُ،
الناشطاتُ،
السابحاتُ
وترجفُ الراجفة..
تخترق الطائرةُ جسد ليلٍ عارم..
ليلٍ ينزفُ أصواتَ إنذارٍ وإسعافٍ وحرائق..
وتذوي النساءُ.

وقليلٌ منك يكفي..

...

هل أتاك حديث النيران،

حديث الأوثان،

حديث المعصية :

يسكنُ القلبُ لتدور الأفلاكُ مرةً أخرى

ولكلِّ فلكٍ قلبٌ..

وقلبُ القلب.. همهُ المحزونٌ..

..

تركضُ الأرضُ وراء الأفقُ

وترجفُ الراجفةُ..

عرجونٌ ذهبيٌّ يغريني

خائبةٌ يردُّني

جرحُ الدائرة ينزفُ

ينسابُ الدمُ من الأغطية،

الوسائدِ،

الفرشُ..

تتكورُ شمسُ روعي

وتنفطرُ سماؤها

وتهبطُ الجبالُ..

ينسربُ الماءُ الفادي في عروق الكونُ

ويرفضُ الوجودُ الرواءُ..

تدخلُ غابةُ الجسد في دائرة الحاءُ..

تُخرجُ الأرضُ أثقالها

وينفتحُ الأفقُ.

لا تخمدُ النارُ حتى يأتيها أمرٌ :

كن.

تتكفى أطرافُ الوجودِ،

وتتقصُ الميمُ أطرافَ روعي...

تنثر الطائراتُ حروفاً مهموسةً

فوق الأغصانُ

ووحدهُ قلبي النابضُ في الركامِ..

يلتفُّ بغلائل الرضا..

يسكنُ القلبُ تحت مجاري الأحكام..

وتكفُّ الأرضُ عن الدورانِ،

الدم ..

ال

د م ..

متى يهدأ هذا السائل المهشم اللزج،

تتراكض فيه الخيول،

الوعول،

السفن ..

تزجي ريحهُ سحاباً شاحباً

فيختبئُ الدخانُ في جرح الأرض،

ينكفيُ وجهي ..

وجهي نخلة هزتها عاصفةٌ بنفسجية ..

فانهمر ورقُ الجنة،

وانبعث شجى العشبِ في لحنِ سماوي

تشربه الطائرةُ الهمجيةُ في وضح النهار ..

تلتهم الطائراتُ أفقاً حريباً

أفقاً طريا يدثرهُ الأرجوان ..

آشورياً،

بابلياً،

يفوح منه وجعُ العشبِ الخالدة ..

وجهي غصنةُ الفتح،

إسراءُ الألم في ليلة غامضة.

وجهي جرحُ الجنة النازفُ خمراً،

وعسلاً:

وحمى ..

في مراياه تلهث الحورياتُ ظمأى

ويتراشقُ الولدانُ بلؤلؤ مجروح

في أنهاره تشتعلُ الحرائقُ،

ويموتُ شجرُ الرمان ..

في أنهاره تفتسلُ بحارُ الأرض تعلنُ القطيعةُ،

وتلبسُ غلائلَ فجرها الوردي

يغمضُ الحلمُ عينيه، وينام ..

وداخلَ الحلم تنفتحُ أشجار الحقيقة،

وتتكشفُ فيافي الوجود،

باديةً،

فبادية ..

.....

والكتلُ النحاسيةُ تخترقُ أرضاً حبلَى
والترابُ الأليفُ يلبسُ غلائلَ ناريةً..
تتفلتُ اللحظةُ من جسدِ الزمنِ..
تهربُ أغصانها الورديةُ،
ويغيبُ ثمرها المرجانيُّ..
ينفرطُ الزمنُ في أعماقِ اللغةِ،
يختبئُ الزمنُ في أعماقِ اللغةِ.
لغةٌ أزليةٌ تنهضُ في وجهِ الصواريخِ..
تطفئُ عصفها،
وتغسلُ لبيبها بنديً
يتلعثمُ وسطَ المكيدةِ،
فتخجلُ النارُ، وتتكفى غصون الخطيئةِ
لغةٌ ينهمرُ شجاها مطراً دمويًا،
ينهمرُ وحشياً عبر فضاء القلبِ.
والقلبُ يسعُ اللهُ،
والصدرُ يسعُ القلبُ،
والرضا سكونُ الروح تحت مجاري الأحكامِ..
فكيف سيتسعُ قلبك لقلبي
والدمُ الناريُّ ينزفُ،

تنهضُ الواحاتُ،
وتختنقُ الطيورُ
يسقطُ تمثال الحرية في أودية الإرباكِ،
يسقطُ،
يغمره الدمُ،
الصراخُ،
الصديدُ،
السؤالُ،
.....
.....
أسرابُ النمل تدبُّ في أطراف الكونِ
ينهضُ الرملُ عصافيرَ تنزفُ ذهباً اسودَّ
يُشعلها..
تنزفُ،
تنزفُ
وفي متاهة الحلم تبدأ الرحلةُ
وتتأهب الضعائنُ لولوج النورِ
والطائرةُ الوحشيةُ تشربُ الدمَ..

والطائرة الوحشية تخترق الكون..
والأرض تركض وراء الأفق..
والموج يلف سواعد أسئلة تشاكس
يصعد..
يصعد..
لكنه.. بـ (لا تكن..)
يعاود الهبوط لتسكن الأشياء..
وتواصل عدوها الأرض..
.....

(5)

وحيداً إلا من غربته..
ذلك القلب بسفنه المتعبة،
وصخوره الصلدة،
وبعريات حلمه المتأرجحة وسط الموج..
ترتجف خلف شرفاتها يمامات بليلة،
ومناديل مخضبة بالدم..

ففي الليالي المطيرة..
إذ تأخذني ذراعاك تحت أغطية داكنة،
وتمتد أناملك تتحسس خلايا الوجود،
معيدة تشكيل أحزانه :
هناك جبل ينحني..
هنا صبارٌ ينمو،
وتلك ينابيع تجف،
وأشباح ممالك تتهاوى
وعلى الجانبين تسقط الجدوع،
حيث تتحدر سواقي العلقم صافية في
عروق الكون
أحسُّ آلاف الأجنة تشهق في دمي
فازرع رعي في بحر رملٍ لحي ينبض في صدرك..
في كل نبضة اسمع قاطرات الأجيال تتوالى
وأبصر التاريخ يزحف بقوافله،
موغلاً في العتمة..
والتراب،
التراب،
التراب..

أتعبه جبلٌ متدلٍ،
يلوِّحُ له كل يوم بالوضمِ،
حتى اجتثتُ فرسُ الروحِ،
واسودَّ الشفقُ..
وعمَّ المنصَّةُ صمتٌ كبيرٌ..
....
برقٌ يخضُ جبل المكابدةُ،
والموتُ فيك يحييني
انظر إلى الجبل كي يطلع في عروقي برقٌ اخضرُ
ويؤمنُ الماءُ بالحصادُ..
انظر إلى الجبلِ
كي تستقرُّ جذورُ الطين في سرب النميمةُ،
وتطلع النارُ في عينين تخضبان الضوء بالحمى
....
انظر إلى الجبلِ،
كي يكتبَ الماءُ قصائده
وتتهضُ أدغالُ الكلامِ..

الترابُ الذي يكسر طوق الذاكرة..
الترابُ الذي أدمنَ الزحف نحو بوابة المطرِ.
كانت تعترضهُ غيومٌ ابتلعها صقرٌ خرافيُّ
بلا أجنحة ينقضُ..
هناك يهمسُ دمي الذي أدمن الغصَّةُ :
ليس الذي خارج قلبك
كالنابض في صميمه..
- فيا أيها الكبيرُ.. سعني -
وليس للغاوين من توبة وقد اعتادوا الذبحَ،
غير الغرق في لجة الدمِ..
ناجين من تسلق أعمدة اللهبِ
كلُّ يوم في ساحة الأبدِ الخرساء..
حيث تعلنُ الساعةُ دقتها الأخيرةُ،
في يوم ضبابي انقضى
فيا أيتها السكينُ المدلاةُ أبداً..
هالكٍ جيدي،
ناعماً،
وطرياً..
وصامتَ الأنينُ..

وقليلٌ منك يكفي..

اذ يختق البنفسج في جيوب الزمن،
وتغرق في المياه الجسور..

أمدٌ يدي..

اجمعُ جروحك من أغصان قلبي
وادفنُ يماما ابيضَ افترسهُ الحنين..
والدوامَةُ تساوي السقوط.

دوامَةُ زفيرها ملطخٌ بدغل قلبٍ وجل..
ينزفُ تفاحهُ دما طرياً
وخرائطُ مجروحة..

قلبي أحالته الكمائُنُ إلى حفرة من صديد
فهل كان المنفى أولَ شروط الحرية
ام كان شرطَ المعرفة الأول..
وكيف استطاع ذلك المنفى
ان يكون وطنَ المنفيين..
يوم تخلي المنفى عن براءته،
واعتق شقاءه المدجج بالخطيئة.

والسفرُ الذي برأ حواءَ من الإثم..

هل اتهم آدم بالغفلة..!

فيا أيتها الوحشة الموغلة بالوجع..

يا رياحا تدفع عربة الزمن باتجاه المحنة..

وتحمل على كتفيها أزيز انفجارٍ مريع..

خلف وراءه كونا

لم يستطع رغم عراقية حرائقه أن يتسع لحجم

وحشتنا

والغيمة الهاربة من الصحراء

دخلت دون أن تشعرَ بقفص

وماذا قال النحويون عن الباء..

أهي بقفص،

ام الى قفص،

ام في قفص.

أم دخلت قفصا من حديد..؟

وفاتهم أن الحوارَ ماءُ القلوب..!

(6)

الغيمة هاربةً من مائها..

تحوم حولها نوارس ميته،

تتهض من أجداث الريح..

وتكتنفها مكابدةً بحرٍ لجي،

يفشاه موجُ الخيانة

ويظلمها عذابٌ إذا كشف جروحه

لم يكدُ يراها..

والغيمة هاربةً إلى شاطئ الوادي الأيمن

من البقعة المقفرة والشجرة المنفصلة

ولا يد تهز الجذوع..

فامنحنا حركة نهزُ بها جذوع الكون

كي ينبلج وردُه،

وتطلع فيه أمنيات قاصرات الطرف،

وتضيقُ القرائن..

فارجع البصرَ خمسين مرةً ..

ارجع البصر ترَ فطور السماء

تتهمرُ حبالاً عصيةً..

وتر الدروبَ محفوفةً بعربات المحنة..

في كل عربة فارسٌ مهزومٌ

خذل شعبه فلعنوه..

وترَ خيولاً بلا أعنةٍ تعدو،

واقدامَ كلمات هاربة..

تمتد سواعدها شرانقَ حريرٍ

تعصب عيني فأكبو..

وحينها لن نلوم النهر الغريبَ

لانه سيتدبر امره،

ويعرف كيف يُعرضُ عنا

وهكذا..

ظل يتواصلُ الحريقُ،

لكنَّ المجهول ظل علامةً شغفٍ

وسيمياء اشتعالٍ وبريقَ لهفة.

ظل المجهولُ شارةً رعبٍ،

يحدوها التطلعُ،

وينبثق داخلها عطشٌ

نحو فكِّ المفازات المفعمةً بجيولوجيا

الدموغ..

وكلُّ شيء آمن بيقين الكلام
الا صمت قلبي..
فآه..

كيف تكدر النضارُ،
وازورُّ الزلالُ،
وانهالت حجارةُ الوجودِ
في راس كل شارعُ
"هم كانوا ينظرون إلى أعلى
حينما يطلبون العلو..
أما أنا.. فانظر إلى أسفل
لأنني في علوٍ دائم.."
هكذا تكلم زارا..

لكنَّ علوهُ كان خرافةً ابتزتُ وجع الأنبياءِ،
وخبزَ الأمنياتِ البريئةِ
وسقطت في الدوارِ..
علوهُ كان شباكا لدم وعرق الأولياءِ،
وبناة الحقيقةِ،

بتلك البراءةِ واجهت الحياةُ منفاها
فهل كان الحبُّ هو البرهان
على معنى الحياةِ،
ام كان معصيتها الكبرى...
وكان الانفصالُ هو الحقيقة التي بها نبدأ،
وبها نتواصل..
وبها يكون الختام..
هل كان الإبداعُ هو بداية الحمى،
أم أنَّ الصمتَ وحدهُ
أولُ سبل الخلاص..
وكيف همست الأكوانُ لوعتها..
ماذا قالت الضفةُ للنهر...
وكيف كلمت الأشجارُ عاصفتها
وعضتْ على شفتها الشواطئُ.
وكيف لتلك الحرائق أن تتطفي
ما دام الصمتُ هو فضيلة الكلامِ
وما دامت العبارةُ تضيقُ، تضيقُ
ولا تتسع الرؤيا...

شرقاً،

وغرباً،

وشمالَ الأنهارِ،

وجنوبها،

وفي كلِّ أنحاء القلبِ.

والحجارة تزحف

الحجارة تصل ناطحاتهم على أجنحة :
لا يُنصرون..

ناطحاتهم تدور فوق المدن المذعورة،
تهوي..

تشهقُ أعمدتها الحديدية فوق الغيمِ
تشهقُ..

تشهقُ..

تشهقُ..

تشهقُ..

الحجارة تُقرأ..

"لا يزال بنياهم الذي بنوا".

هاهو امرنا أتاهم..

بعد أن أخذت أهواؤهم زخرفها، وازَّينتُ.

هاهم يرددون :

لا مساس..

وإلا أن تُقطَّعَ قلوبُهم.

ويشتعلُ شجرُ الفردقِ..

والوطنُ الذي منحني غصنَ ماءٍ عند باب الصحراءِ،

لماذا لم ينتظرُ أن أقولَ له : تعال..

ولماذا ذوت أصابعه..

وهي تفتح لي كُوةً على الغضى..!

(7)

غصونُ الضوء ترحل في الخارجِ..

غصونُ الماء ترحلُ في الداخلِ..

غصونُ النار الازلية تتكسَّرُ

غصونُ الظلام تداهم أفقاً اخرس..

أفقاً تموجُ في زوبعته سفنُ أضاعَتُ

يمامةَ النجاةِ،

وضاعت في الطريق الى الموائئ

قال الرجلُ النحيفُ.. لا تخافي الهاويةُ،
ففيها من الحدائقِ السريةِ،
ما يزيحُ المهالكَ
ويرخي المسالكَ
ويفتح الممالكَ..
قال الرجلُ النحيفُ :

هي السحب يخز وردها السماء
فيدمى في خاصرتك جرح ازرق
وتعلن الأرض القطيعة
هي السحب يعدو يمامها..
يسابق الزمن
ويختبئ في غضون الخسائر
هي السحب..
السحب..
خاوية الا من جذاذات العطش
وفراغ الأمكنة،
ووجع الماء..

وقابيل منهمك بالبكاء
لا يجفف رمل الصحراء ظمأه..
قابيل تغمره الرعشةُ
ويخرمه التضرعُ
ويستخف به غرابٌ مشاكسٌ..
...

سحبُ الذكرى تُساقطُ رهاماً اصفرَ
ترفضه الأرض..
وقليلٌ منك يكفي..
فهل استطاعت الأرضُ أن تستحمَّ
بذلك السراب الخليج..
قمرٌ اخضرُ ظل يراودها..
قمرٌ اخضرُ يكيّدُ أعمدها
قمرٌ ينبضُ في غلالات وقائعها
يشتعلُ في نسيج خطابها
ويمنعها من السقوط في الركام!..
.....
.....

ولي معك ما لم تقله الأرض لينابيعها

والبحر لجلاله..

وللجحيم الناس والحجارة..

لي معك ما لم يبيح به دفء الدلالة القابع في السياق :

لغة يشتعل دمه،

ويفترس سهيلها زبانية، لهم مقام من حديد..

والرجل الغريب أطفأ ناره في نبع

قلبي..

فهل كانت الخواتم لائقة بجلال المتن،

أم أن النبع كان يغتسل بجلال الخطيئة

فيشاكس الموج ضفافه،

لينكسر رذاذه في وجنتي

ثمراً أزرق..

يتفتح أريجُه علقماً في وديان روعي..

.....

.....

(8)

والجبال،

الجبال،

الجبال..

الجبالُ جسدٌ مثيرٌ معطلٌ..

الجبالُ جسدٌ لائبٌ في قفص الوجد.

مصروعٌ بعجزه،

وسلطته القاهرة معاً،

الجبالُ تحتكرُ البحرَ والسهلَ،

وسواعدَ الغصون المأخوذة بنشوة الغياب..

وتحتكرُ سماءً لا تعطي زرقته لأحد..

تغمضُ عينيها،

وتسترخي في قمم الهاوية.

الجبالُ أشجارٌ سماوية..

جدوعُ أهراماتٍ سقطت من علو على الأرض،

وتبعثرت ذعراً،

لكن صدرَ الأرض اتسع لخوفها،

واتخذها سفناً للنجوى..

الفاصلُ،
المضيءُ،
المضني،
الشاهدُ
المشهودُ.. له..
نوركُ نورُ الأنوارِ،
وصوت الأصوات صوتك..
اذ يجري في الأفقِ،
يدوخ الكون،
وتتلعثمُ أعضاؤه..
صوتك الذي تتحني لمشيئته الأصواتُ
دثرتني في الفجرِ
فانحنت قامةُ الأصيلِ،
واشتعلت قواريرُ النشوةُ.
والشمس تشرق من مياهاك،
والنجومُ تقرأ من ابراجها
إنهض..
فهذي الأرضُ تصغي للنشيدِ،

الجبالُ عرفاتُ يقرأن نوازع الكونُ،
ويقلن للعابرين سرَّ المشيئة الفاتنة..
الجبالُ تخرج في الليل من صمتها
تلبسُ عباءاتٍ سود..
تمشي في موكبٍ ابيض..
وتدعوني للوليمة..
تعزف الجبالُ في الفجر موسيقى البهاء..
تكتب الجبالُ في الصبح موسيقى الضوء
وتضج في المساء بأحزان دغل مذعور..
في الليل:
تغطسُ بدم أحلام البشرية..
وهي تكابد انفصالها الأليم،
وتدخل في حشاشة النوم
تتضرعُ الجبالُ بغلائل نومها
تجتمعُ حول الوديانِ،
وتمدُّ اذرعاً.. تستقبل نورَ قلبك،
ولا غالبَ الا قلبك..
لا غالبَ الا نورُك الواصلُ،

بلا شمس،
ولا رمل،
ولا سراب..
صحراء يفزعها الضوء،
فتهرب نحو أسرة الظلام،
وتحجبها الحجب..
والجبال تؤم النخيل في صلاة الغروب..
الجبال تقرأ :
خدهم..
فإذا بريح شديدة تطلع من خاصرة الصحراء..
تساقط جذوع النخيل،
وتظل الواحات شاهدة..
ها انا اشرع عليكم سيفا،
وادمر مشارفكم،
جثت تختلط..
اعمدة تهوي
تتداخل رعبا،
تشتعل،
تشتعل..

وأنت تُملي ما تريد :
ورداً ونار..
قمرأ..
وشهقة جنان..
جسدي نبيذ الليل،
في زنديك يشتعل البنفسج،
والغناء يعطر الدنيا
وفي شفتي غصن يابس
وعلى جبينك صوت ماء..
والأرض تزحف بالقيود
وباطل برق الشمال
وغالبة شمسك.
(9)
في رمال روحي..
في رمال الوجد،
ودوار الالهة..
في توق الرحيل،
إذ أتشرّد وسط صحراء

وتواصل عدوها الارض..

.....

.....

.....

يا بني..

إن أخطأت فلا تزد..

بل استغفر

وفي بيت المتكبر تشتعل النيران

وليتحمل الأحق جرائر حمقه..

فالحكمة خرجت من فم العلي بكراً،

قبل كل خليفة،

وجعلت النور يشرق في السماوات

ورفعت عرشها في عمود الغمام

ومشت على أمواج البحر

ولذلك ظلت في الصمت ثاوية..

الحكمة ثاوية في الصمت

فبأي آلاء ربكما تكفران،

والكفر دريئة الخاسر

وحبك معصية ليلى

وخطيئة أورادي

روح اليك تسعى

قلب واجف

وبصر راهف

وبرزت الجحيم لمن يرى

فهل كانت الفردوس حدثا

يأتلف وملكة النهوض بالاسئلة

هل كان جنى الجنتين محترقا بالظماً،

ام ان النطفة كانت لائذة

بجذور ضوء ليس كمثلته شيء..؟

.....

.....

(10)

ماءً يشتعل في التراب

نارٌ تعصف بغضى الكلام

وذهب أسود ينزف دما احمر

في حومة الاختيار بين اللفظ والمعنى
فهل كان المتلقي هو الكامن بين اللعبتين
ام ان المرسل وحده الشاهد في
المحنة..
هل كان الجاحظ عمودَ المحنةُ..!
هل كانت المعاني المطروحة في الطريق
هي أول الطريق..
هل كان الضربُ من النسج، وجنسُ التصويرِ
بداية مشهد الاغتراب..
ام ان لعبة الوجود والجوهر والأعراض
هي الأصل في كل ذلك..
وماذا قالت شجرة المتكلمين للفجر
ماذا قال الماء لجوف التراب
وكيف خلق المعتزلة أعمالهم في وضح النهارُ.
وماذا قال قلبك لقلبي:
أهيمُ بأقطار البلاد وعرضها
ومالي إلى ليلى الغداة طريق
إذا ذكرتها النفس ماتت صباية
لها زفرة قتالة وشهيق

ومرجئة اطلقت بلابل الفتنة في صدر اعزل
وطيور تذرو سورة العذاب
في جنة المأوى
فيذبل الماء، وتهوي الجدوعُ..
وحبك ضوءُ قلبي
وزهرةُ وجدي،
وسلسلةُ قيدي
اليه أوجهُ في الصلاة وجهي
بنوره أتطهر
بعبيره أجلو الحقيقة
في فصوله تمور كنوزي
وتقوم قيامة حبي
وتشتعل أغصان أوبتي
وتتهض تراتيل جسدي
لتحتوي بهاء الكون..
ادخل الأرض..
ادخل ملكوت الكلمة العلية
ادخل متاهة الجرجاني وهو يلوب

وكيف..

وهذه الزفرة تتبلج عن مدن عصية

وبلاد شجية

وقلاع لا تفتح أبوابها لطارق

أعمدة غرثى

وشرف عطشى

وحراس تعبون من الشوق

وكيف..

وأنت الذي صيرت جسمي زجاجة

تم على ما تحتويه الأضالع

هكذا..

في حركة دائبة نحو الغياب..

و..

يقولون: ليلي عذبتك بحبها

فيا حبذا ذلك الحبيب المعذب

.....

.....

فيا أيتها المدن الجبلية

مرّي فوق الغيم

وأمطري خيولا تتسعُ لابتلاع المحنة..

أيتها المدن،

دوري فوق قطعان الخطايا

لتري أوصالنا المقطعة

منشورة في المواسم

يصطادها آخرُ الكذابين بشراك اسود..

يوم اقتسمنا الندم والتوبة..

اخترتَ الندم،

واعتقتُ التوبة.

هاربةً من رذيلة الوقوع في الوقائع

نحو اعتناق الأفعال

باحثةً عن تناسق يطهر اشارات المحنة..

من زمنك الذي سقط عنوة

في مكاني،

وابحثُ في مدارات قلبك عما تعرفُ

كي اعرف..

فأجدُه مفضلاً يُغري أعمدة الحكمة

بالتساقط،

ليُشعلَ في أنهارها الحرائقُ،
ويدججُ صخورها بالوجدُ،
ملقياً بثوابتها الأزليةُ
في نواعير الدلالةُ،
وهي تمنحُ نفسها لتفكيكِ غدا مقبرةً
لمرجعياتٍ لم تلبثُ أن غدت مقبرتهُ،
وضاعتُ خيوطُ التشكيل ما بين تأويلٍ
وتأويلٍ
وهوت المعادلةُ ..
وقليلٌ منك يكفي ..
فافتح مغاليقَ الإشارة
كي تلتئمَ العبارةُ
وتتجلي العلامةُ،
وتفوحُ الرمالُ بالحمى،
والعلامةُ مفتاحُ التحقق ..
هجرٌ في وحشة القلبِ،
وسكرةٌ في التواجدِ.
فمن لهذه المدن الغريقةُ، يجمعُ عن جبينها الصداً

ويكسو عريَ غبارها المجروحُ ..
من لهذه المدن المتدلّيةِ على مشاجبِ الريحِ،
تتلو كتابَ العذابِ،
وتتحني للمكيدةُ ..
من لهذه المدن يرفعُ عن جسدها النحاسيُّ،
غبارَ القطيعةُ،
ويُخيطُ جروحها بإبرٍ من ضياء ..
وقليلٌ منك يكفي ..
من طقوس البدءِ حتى إشارة المنتهى
أنحت في جبال قاتمةٍ
تشتهي مقتحميها
لكنّ المغيرين عليها
ما لبثوا أن تحوّلوا إلى منحوتات مذعورة
فكيف يفكُّ الأسيرُ أسرَ مأسورٍ
والإشارةُ مكبلَةٌ بالسلاسل ..
ومدججةٌ بجراحاتٍ مرمرٍ عتيقٍ
هواجسُ الشجر تهبطُ نحو القاع
تبحثُ عن ملامح نصٍّ غائبٍ

والشجرُ يرتجفُ بقمصانِ نومه الخريفيةُ..
وعطرُ ربيعيُّ يترجلُ عن سهوة العطشِ..
وانهضُ بينَ زمنينِ..
أحلاهما معلقٌ بينَ جدرانِ القيامةِ..
يجلدهُ سرأةُ القومِ في غدوهم
والرواحُ..
تسودُ غلالاتُ المدنِ
تحمُرُ
تخضرُ
والشجرُ يرتجفُ،
وقليلكُ..
لا يقالُ له.. قليلُ.

كتاب الوجد..

كل شوقٍ يؤولُ بالوصولِ إلى انطفاءٍ

لا يُعوّلُ عليه...

ابن عربي

وظل الموقف يتجذر مدركا أن الخلاص في كسر
المحدودية على الأصعدة كافة، وإن كان مشروع الخلاص
نحو المطلق يستمد طاقته من المتعين المدود، ومع توتر الأزمة
واشتباكها كانت الشعرية تزداد التحاما بالشطحة
الصوفية وهما ينزاحان عما صار في الألفة، الى دهشة
تفاجئ وتوهج وتعري وتغوي، انها الشعرية التي تدهمها في
النص شطحة التصوف لترقى بها عابرةً الحدود متجليةً بتوق
الروح نحو الانفراج ولا خلاص، فوصول الشاعر/ الصوفي
هو اللا وصول دوما، لان الوصول انما يحيل على موت
السؤال وسكون النار وانطفاء البحث المكابد، وهذا ما
رمى اليه ابن عربي ... ” كل شوق يؤول بالوصول الى
انطفاء لا يُعولُ عليه “، لان المراد هو أن تغرس اللحظة في
المكان باحثا عن مأوى، هو ان تنتزع اللحظة من المكان
لتسريَ بها في المجهول، وهو أن تحوّل بين اللوعة وفضائها
لتزيدها اشتعالا، هو أن تواصل البحث فلا تجد، وحينما
تتوهم انك وجدت تدرك انك لم تجد ذلك الذي كنت تسعى
اليه، لتلوب الروح من جديد...

نافذة

هي محاولة لتأثير الفراغ بالجمال..
يوم انتهت محنة المفهوم مع التصوف التقليدي كانت
قصيدة الصومعة عام 1996 (مجموعة البحر يصطاد
الضفاف.. بغداد، 2000) تلك القصيدة التي أدركت أن
الصدام مع الراهن الذي يسحق الانسان لن يتجلى إلا في
التماهي حبا والتسامي بالحرية مشروعاً حياتياً شاملاً
يتجاوز المحدود والمقيد، معلنا الثورة على مشاريع تهميش
الحياة وضرب طاقتها للحد من فاعليتها بأي حجة من
الحجج، فكانت الصومعة هي البداية :
النار والخمر يموران بهذا القلب..
والحب والوجد وحمى الورد..
لا تتعد ففي خبايا زهرة الرمان،
يختبئ الزمان
فيحرق الصوفي كوفيته ويخسر الرهان°...!

اللحظة الصوفية اذ تلحتم بالشعرية تزيدها ألقا وإرباكا وانفتاحا على المطلق، ولذلك تتسع للمتناقضات كلها، لا منطلق في هذه اللحظة ولا تعاقب بل دوران لاهب في كل اتجاه ولحظات منفصلة عن بعضها، نافرة من تسلسل الرتابة، وسؤال يفضي الى سؤال الى سؤال ...

هذا النص الطويل الذي لا يركن إلى مصطلح، فمصطلحات العصر الراهن ولا سيما النقدية والأدبية قُدِّر لها أن تكون مُربكةً هي الأخرى، لكنه يحاول الاشتغال داخل أطر الشعرية التي تطمح ألا تبتعد عن روح التصوف، إنه احتراق في الإشارات وذوبان في مياه الينابيع التي انتجتها

وهو لوعةٌ تتفجر في كل اتجاه، تتحرق، تبحث، تريد، تسعى... وتتتظر...

وهو حب يحرض الكون على الاشتعال ويحرض الإنسان على الإقبال ويحرض الأنهار والمحيطات والغابات والصحارى على التمرد مطالبة بالتواشج والانسجام من اجل الإمساك بمفاتيح الحرية وهي تدق أبواب السجون ودهاليز الجوع والتعذيب وسراذيب الوحشة وليالي التغرب وحمى المواجيد،

كي تطلق الثوار والعشاق والمنكسرين بالألم، ولكي تكسريد الطغاة وهي تطلق الصواريخ على حلم الإنسان ...

كل ذلك بالحب وبالحب وحده، الحب الذي يتعالى على الانفصال ويدحض القطيعة والخطيئة، لذلك امتزجت إشارات امتزاج توحد : من الأديان والتاريخ والأدب والطبيعة والفلسفة والتصوف، ومن عذاب الإنسان الذي يحلم بتأثير الفراغ بالجمال...

أليس ذلك حقا ...!!

بشرى

مدججاً بصولة الديجور..
فكيف،
كيف انسلّ خيطُ النور..
وأريك الأشياء..



مدينةُ الموجد،
مدينةُ المواجه

الحرائق،

الزنابق.

مدينة البلور..

تدخلُ في مصباح روعي،

كلُّ ليلةٍ،

وتهتكُ الستور..



الغابةُ الحرير،

الغابةُ القنديل،

الغابةُ المشاعل..

بالثمر المستحيلُ

تنهضُ في جذور بيتي،

(1)

أيتها الحالات ...

أيتها اللهفات..

أيتها الموجد ...

الحبُّ في بلاء،

فحجبهُ اشتعال،

وكشفهُ،

ووصلهُ،

وحاؤهُ،

وياؤهُ،

وبابُ بيتي كان آمناً مستور،

كل ليلة،

وتشعلُ النذور...

❖❖❖

أيتها المسالكُ البهيّةُ

أيتها اللطائفُ السنيةُ

أيتها الأفلاكُ ..

متى،

متى تجرأُ الفارسُ من واحته البعيدة،

ودقّ في الصولجان..

مسمارهُ ..

وأربكُ الأمان..

أيتها المعارجُ العصيةُ ... !!

(2)

وهو الليلُ مرةً أخرى..

يساقطُ أعمدتهُ الناريةُ فوقَ حريرِ روعي..

وهي القصيدةُ مرةً أخرى،

مذبوحةٌ تنتفضُ داخلَ قضبانِ الجسدِ،

تريدُ أن تعرفُ.

فكيف لمن لا يعرفُ أن يرى..!

وأنا لا أعرفكُ لكني أحبكُ..

ولذلك يتواصلُ النزيفُ..

.....

في صوتك المربكُ بالحيرة كأصابع الزمن

أفتحُ طرقَ الوقارِ،

وأشقُ مسالكَ العتمةُ،

لتتهمرَ ينايبيعي تغسلُ صدى المعاركِ الخاسرةِ

في أعماقِ شعابِ الروحِ.

في صمتي الوثنيّ أكتشفُ أنك آتٍ،

فأفتحُ جناني،

وأدخلكُ قاعةَ العرشِ،

فتبكي الغزالاتُ،

وتسأبُ بالنشوةِ الغصونِ..

وأسألكُ :

أهذا هو..؟

وتقولُ :

أمسكُ أطرافَ الدخانِ بأناملي،
أفتحُ فيه بيتاً صغيراً لقلبين ينامُ أحدهما
في شغاف الآخر،
وأقرأ حروفَ الوجع المتدلّية من ضوءِ
عينيك لتغيبَ الظلالُ..
أدخلُ في زمنك،
في سرِّ التناهي،
في لوبان الأشياءِ،
في جدلها،
ونفيها،
وانكفائها،
وتشبيثِ إرادتها بالمحالِ..
فكلُّ وجود فناء،
وكلُّ فناءٍ تحقق،
وكلُّ تحقُّقٍ فعل،
والفعلُ هو الخلقُ،
والخلقُ مرهونٌ بقبضتكِ المسكّة زمامَ روعي
أن تتشظى،

كأنه..
.....
أدعوك لأمني..
يستقبلك شجرُ الرحمة،
مصاييحُ الحنان،
عناقيدُ الندى المنفرطة أماً وأمناً...
تستقبلك مخابئُ عطري
افتحُ لك أبوابَ الطمأنينة،
وتخاف..!
في ارتباك كفيك وهما يقرآن حزني
ينفتحُ الوجودُ،
وتدقُّ أجراسُ المعابد لأبصرَ الأملَ
يستعيدُ فرسانه،
ويبدأ الكرة من جديد..
❖❖❖
في الليل أفتحُ النوافذُ..
تأتيني بدخانك الممتدّ نحوي قلائد،
وأسورة، وشناشيل...
...

وأن تبعثرها يدُ الطاغوت..

حتى أخصم القدمين وأقول..

لا.....

المشنوقةُ وسطَ غبارِ الزمنِ

تجددني الحرائقُ كلَّ يومٍ..

ووسطَ حرائقِ الفناء تلكُ

أكتبُ على أحداقِ النخيلِ : أحبك.

أكتبُ :

شوقي إليك كنعيم أهل الجنة..

يتجددُ، ولا ينفدُ..

تُعلمني،

أمُ أعلمك...؟

وأسورتي لها وسوسةٌ في الليل أخافها

فأطفئُ الأنوارَ،

وأدعوكُ..

لا يتسرَّبُ وجهكُ من بين الأصابعِ،

لا تضيعُ الظلالُ،

بل تتوقفُ الخيولُ،

تحمي جزرَ الله التي تصهلُ فيها الموجدُ

(3)

إصنعُ غيابك أنت..

أما أنا..

فأصنعُ حضوري بالسكينة التي تمتدُّ خلفَ

عينيك بحوراً هادئةً،

تمخرُ فيها سفني الطافحةُ بالكنوزِ

نحو أفقٍ ليس لتجلياته حدودُ..

إصنعُ غيابك أنت..

أما أنا..

فأزرعُ بك زمني الباذخَ الذي أمسكُ بعنانه..

لم يكنْ لذلك الزمنِ أن يتسرَّبَ إلا بإرادةٍ مهيمنةٍ

وسطِ ركامِ التخادلِ،

هي إرادتي..

وتبقى السماءُ تتشرُّ أجنحتها الورديةَ باتجاه خطاي..

أنا المذبوحةُ من خلايا الشعرِ

لتتهمرَ أمطارُ الحقيقةِ متوجةٌ بأكاليل الرحمة..
وهل الرحمةُ إلا حضورُك..!
في الليل أنتظرُكُ....
ندخلُ الغيومَ معاً،
نسرقُ لآلئَ المطرِ،
ونشعلُ في الوجودِ الحرائقُ..
في الليل انتظرُكُ،
فالنوم خريطةٌ لا أحبُّها،
خريطةٌ تدخلني في الغيابِ،
وأنا أتشبثُ بالحضورِ،
واليقظةُ سكينٌ بحدّينِ،
أن تجيءَ،
ولا تجيءُ..
وأبحثُ عنك في قصديّةٍ تُلغي البدءَ والمنتهى،
وتُلغي الوسائطُ،
لتبقى وحدك الشاهدَ الذي لن تُقبلَ شهادتهُ
وأين المفرُ...؟
إذ يتحوّلُ العالمُ إلى بؤرةٍ دافئةٍ هي قلبي،

وتغيبُ المسافاتُ،
الجسورُ،
الثغورُ،
المعالمُ.
وتتسمّرُ الخطى محكومةً بعذابِ جنّةٍ أزليّةٍ
يدخلها العشاقُ خائفينِ،
أما أنا،
فلا أدخلُ جنّتهم..
لا أدخلُكَ في الأشباه والنظائرُ،
بل أدخلُكَ في الأضدادُ
لا أدخلُكَ في الائتلافِ،
بل أدخلُكَ في الاختلافِ،
في اختلافي أنا....
في توحّدي،
وانصياعي،
وجبروتِ وجددي،
وسطوةِ الأشياءِ إذ تصهّلُ داخلي،
.....

وامطلوا....
حكمُ دينِ الحبِّ ،
دينُ الحبِّ لي ،
وأسيئوا في الهوى ،
أو أحسنوا ،
كلُّ شيءٍ حسنٌ منكم لدي..



في الليل أنتظرك...
ندخلُ جذورَ الرياحِ معاً ،
نبحثُ عن مستقرٍ..
أختبئُ في قلبك فأجدُ سفنهُ المثلثةَ نائمةً
أتطهرُ في دمك من خطايا الجوعِ والظمأ ،
وألوبُ بالياسمين..
وقلبك يكذبُ عليّ ولا يعرف..
ويكذبُ عليّ وأعرف ،
ثم يكذبُ ثالثةً ،
ويعرف..
وقلبك جاهلٌ ورعٌ..

في قهرها ،
وانغلاقِ سلطتها الدموي! .
بكلُّ تداوينا ،
فلم يشفَ ما بنا....
وتقولُ في سرِّكَ....
أهذه امرأةٌ ،
أم جنةٌ من جحيمٍ....
يأتي صوتُك هادئاً يخترقُ صليلَ روحي
أفتحُ غرفَ حنينه وأستسلم ،
هل تستطيعُ أن تفتحَ غرفَ حناني...!
ولغتك نظامٌ يسكنني ،
وكلامي حدثٌ يمورُ لظىً
فهل تطيقُ السكنَ فيه...؟
وبكلُّ تداوينا..
لكنَّ جراحاً بالحشى ،
زيدَ بالشكوى إليه الجرحُ كي
أوعدونني ، أو
عدوني ،

في أيّ نبع،
أيّ حلم،
داخلَ الزمن، أم خارجة،
بحضور الشقائق والزنايق والسكاكين
أم في غفلةٍ من الشجر...
داخلَ الوجع والحمى،
أم خارجهما..
أين كان ذلك..
في تسللِ خطوك المرهفِ فوقَ كلومِ روحي،
في أنينِ اللهفاتِ المدعورة،
في همسِ شاطئي يناديني،
أم شاطئي يناديك..
في نزيفِ الغابةِ الخريفية،
في انبهارِ العطر،
في وجعِ القداحِ وهو يتلمسُ حضوراً يدعي النبوةَ
ويُعيدُ تشكيلَ الأشياءِ
لكنْ بالأساطير التي أوصدتْ أبوابَ الخلق..
وأقول..

لا يخافُ الموت،
بل يخافُ الحقيقة،
لا يخافُ الخسائر،
بل يخافُ التجليات،
وقلبك مغرّبٌ أخرس..
يمارسُ المحو،
وأمارسُ الكتابة..
ويمارسُ الهزيمة،
وأمارسُ النصر،
ويمارسُ الصمت،
وأمارسُ الصوت..
ويسقطُ في النهاية مُريكاً فوقَ صدري..
وخالدٌ هو الصوت،
الصوتُ لا يفنى،
بل يظلُّ يرددُ عبر الفضاءات :
أحبك..

أدخلني في نورك كي أمسكَ بجذور الرياح
واصنع لي لغةً تتسعُ لأمجاد حزني كي أبصرَ براهينك....
وادخلُ زمني...
كي تظلُّ مُشتعلاً فيه..

.....
أسألك..

لماذا أتسعُ وتضيقُ مفرداتكُ
وأتحررُ،
وتتكسرُ غصونكُ..
وأشتعلُ،
وينطفئُ البنفسجُ...!
وقلبي تفاحةٌ تقطعُها سكينُ
على مائدةٍ شُربُ.....
بنفسجةٍ،
نامتُ عشرينَ عاماً،
ثم أفاقتُ طريةً واثبةً،
قلبي غابةٌ رحلتُ بدوحها وعصافيرها إلى قلبك°
فارتبكُ وتساقطتُ نجومُهُ..

.....
ينهمرُ النغمُ،
فجرٌ يشتعلُ....
يترددُ الصوتُ مرةً أخرى..
" استغنيتُ بما عندي، وحُقَّ لي.. "

(5)

في بحيرة البجع بجعةٌ مذبوحةٌ تحاولُ
القبضَ على الزرد..
في بحر مجهولٍ تنزفُ أعشابُهُ في القاع دماً،
وتلتاعُ أسماكُهُ،
في الليل تتحولُ امرأةٌ بأجنحةٍ ملائكيةٍ....
يأخذها الأميرُ إلى سريرهِ..
أهذا أنتِ إذن..
أعزلُ بلا حِصاةٍ ولا زيتٍ :
أحملكُ في دمي..
جذراً مقطوعاً يعرّشُ في الزوايا
يرتدي معطفَ حبي، ويمارسُ أمانه°

وادخلُ في الضباب..
وموتٌ هو الشوقُ،
موتٌ هو القربُ،
واختارُ بشجاعة الفرسانِ موتي
بهياً،
ومكلاً بالرياحين...
وأنت تقولُ :
علينا ألا نموت لشيءٍ
بل أن نعيشَ من أجل شيءٍ...
وكيف،
كيف؟
ونحن نموت دوماً من أجل الأشياء التي نعيشُ
بها ولها،
ومن أجلها،
ولقد كتب التاريخُ ذلك في سفر شهادتهُ :
كلُّ ثانيةٍ موتٌ،
كلُّ ثانيةٍ حياةٌ
كلُّ رعدةٍ غيابٌ..

ويقرأُ في الليلِ سفرَ تكويني،
ثم ترميني أناملهُ لشفة البحرِ،
وتتامُ التفاصيلُ...
أريدُ أن اسمعَ ما لم تقل..
فما قلتهُ صار في ذمة زمنِ اخرسٍ...
وهي الرعدةُ المرهقةُ،
إذ تتوحدُ أشياءك بأشياءي،
بالكونِ،
بالأرضِ،
بالسماءِ.
بطينةٍ تجمعني وإياك،
نبيةً أحرقت جوفها الصداً.
بوردي يُغضي خجلاً إذ نلمسهُ،
بماء دجلة إذ يصارعُ الزمنُ...
قاهراً يعدو فوق النيرانِ.
ويربتُ كتفَ الأرضِ أن يتسللَ إليها التعبُ...
وأريدُ أن أعرفكَ كي اعرفُ.
تتكسرُ مرآتي،

كلُّ استشهادٍ حضورٌ..
وكلُّ حضورٍ حضارةٌ....
وموتي ضراعةٌ،
وموتك امتثالٌ...
فمتى يمتثلُ موتكُ لموتي..!

.....

تتشظى الأشياءُ،
تتغيرُ،

تتحولُ،

تتجددُ،

تتفصلُ،

تتحدُّ ...

ونحن نتشظى،

نتغيرُ، نتحولُ...

ننفصلُ، نتحدُّ....

وأنت تقولُ..

نحن لا نتغيرُ، بل ننمو....

وأقولُ..

بالنموّ نتغيرُ
نكبرُ، ونسمو،
وتستفيقُ من حولنا الأشياءُ..
والأرضُ،
الأرضُ،

الأرضُ....

الأرضُ التي تفتحُ نعيمها لقلبي،

وتصنعُ لي من ترابها وسادةً فرحٌ....

الأرضُ التي تصنعُ لي من طينها بُراقَ شوقٍ

يسري بي إلى قلبكَ

ويعرجُ بي إلى الجحيمِ....

الأرضُ مائدةُ السكارى بنشوة معصيتهم،

وليلُ الهائمين بتراتيل وجدهمُ....

لماذا تتركُني غريبةً وتمضي..!

الأرضُ الدافئةُ،

الأرضُ الطريةُ،

الأرضُ الحريةُ،

الأرضُ الوجودُ.

لولا وجودها فيك،
ما كان وجودي.
دعوتني فانتصر صوتك :
أيها الحب الذي يشتعل دوماً
ولا ينطفئ أبداً،
أيها الحب أشعلني،
ومرني بما تريد..
وأقول :
أنت الذي دعوتني،
في فلات الروح أسمع صوتك يناديني :
أيها المتأملون تعالوا إلي
فصدقتك وأتيت،
فالويل لعسر العالم إن لم تفتح أنوارَ روحك
لروحي..
.....
ها أنا أقصدك..
بحرق أزمنة مرة
ما كان لها أن تنهض لولا أن باركتها السماء..

الأرضُ النشوى بإشتعال أنهارنا
ونحن نفوحُ ب : لا.
الأرضُ نبضُ النارِ الهاربة منك،
المجتاحة غيومي،
النارُ التي تبتدُرُ في تراب الروح لظاها،
فتنشقُ السماءُ،
وترجفُ الراجفةُ،
ويُنْفَخُ في الصورِ،
وتقومُ قيامةُ الأشياءِ.
حيثُ نكونُ بالحضارة شهداءَ على الناس..
وأنتَ حضارتي،
وحُرِّيَّتي،
وانبعاثي....
أنتَ حضارتي الغاربةُ،
وحضارتي الشاهدةُ،
وحضارتي التي لن تجيءَ
كنتَ معي إذ لم أكنُ معك،
واستوقفمتني بعيداً تلك الأشياءُ التي

ها أنا أكتبُ على الصخرِ..

أحبك..

كي تتعلمَ الأجيالُ حواريةَ الحريةِ.....

تُعلمني،

أمُ أعلمك...!

والبطولةُ أن نموتَ ظمئاً

لا أن نعُبَّ الماءَ!

وبطولتي أن اصنعَ مائي وأن أنتزعهُ،

أن أخلقَ أرضاً وسماً يُسندانِ إلى

صدركَ رأسي،

فأنا لا أحبُّ بطولةَ الاستحواذِ،

بل أحبُّ بطولةَ استشهادي

حضوراً، وفعلاً، وحضارة

وهذا الفنُّ من الكشفِ والعلمِ غوره بعيدُ

والتلفُ فيه قريبُ

فإنَّ من لا معرفةَ لهُ بالحقائقِ يصبو

فأغلقُ بابي..

وتحدَّثُ في هذا الفنِّ معي

فليس الحضورُ هو هذا الموتُ

لكنه شيءٌ " وقر في القلبِ وصدقته الجوارحُ "

ولقد " كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه.. "

والعلمُ،

هو هذا الثابتُ،

المكينُ، المتجليُّ

يدعوني فأجيبُ،

ويُقصيني فأدنو..

في الجنةِ،

وفي النارِ...

في الحجبِ،

وفي التجلياتِ...

في الجمعِ والفرقِ

في السكرِ والصحوِ

وفي المحوِ والإثباتِ،

وفي كلِّ حالٍ من أحوالِ الوجودِ المطلقِ

حيثُ تمَّحي الأشباحُ،

وتتَهَارُ أسوارُ قلبكِ وقلبي..

يناكدُ الربيعُ،
وها هو الربيعُ يحملُ طوفانهُ،
ويجتاحُ عروقَ الكونِ...
لكنَّ سطوةَ الأوامرِ تحيقُ بالجدورِ :
" يا أرضُ ابلي ماءكِ ، ويا سماءُ أقلعي "
والماءُ لا يغيضُ،
تتواصلُ الزوابعُ لأنَّ الأرضَ لأوَّلَ مرَّةٍ
ترفضُ الامتثالَ،
ولا تقلعُ السماءُ...!
..
رأيتَ الذي لا كلُّهُ أنتَ قادرٌ
عليه ولا عن بعضه أنتَ صابرٌ
فأنتَ كنتَ لا يُسليكَ عمَّن تحبهُ
تناءً ولا يَشفيكَ طولُ تلاقي
فهل أنتَ إلا مستعيرٌ حشاشةً
لمهجةِ نفسٍ آذنتُ بفراقِ
" قال السالكُ :
فامتطيتُ متنَ الجوادِ العتيقِ

تلك هي مواعيدُ الحقيقةِ :
إقرعوا يُفتحُ لكمُ،
لأنَّ من يطلبُ يأخذُ،
ومن يسألُ يجدُ،
ومن يقرعُ يُفتحُ له..
وسماءُ السماواتِ للربِّ
فكيف السموُّ بالوصالِ إذنْ..
وهذا المطرُ لا أصابعَ لهُ،
لا سواعدَ لهُ،
ولا تجلياتُ
فمن سيحربُ أوديةَ الحزنِ هذه..؟
والحزنُ يقبضُ القلبَ عن التفرُّقِ في
أودية الغفلةِ،
والحزنُ ملكٌ إذا سكنَ في موضعٍ لم يرضَ
أن يساكنهُ أحدٌ..
وهذه الأرضُ كانتَ محرومةً من اللونِ والشكلِ
والروحِ،
لم تكنْ عدماً مطلقاً بل كانتُ يباباً

وقلتُ :

الرفيق، الرفيق،

واحترقتُ بين دقائقَ ولطائفٍ...

ورقائقَ ومعارفُ

إلى أن وقفتُ بيَ الفرسُ في حضرةِ الجرسِ..

فسمعتُ صلصلةَ الألحانِ بوقوعِ الامتحانِ

فاقشعراً جلدي

وزال ما كانَ عندي،

ثم هبَّت عليَّ عواصفُ رياحه...!

فسترتني بريشِ جناحه..

ثم نفسَ عني،

فرأيتُ العوالمَ يتساقطونَ

على الأغيارِ تساقطَ النسورِ على الملاحمِ..

قال السالك :

فلما ذهبَتْ تلكَ الرياحُ العواصفُ،

وسكنتُ صلصلةُ الرعودِ القواصفُ

وقد تتضدَّ الجبينُ عرقاً،

وذابَ خوفاً وفرقاً..

بسطَ ليَ الجناحُ

وقال :

قد مرّت الرياحُ.. "

.....

فلا تمرِّي..

أيُّتها الريحُ المجنونةُ الطافحةُ بالكنوزِ

لا تمرِّي،

فالثمرُ يملأُ الفجاجَ،

والملايينُ في جوعٍ ووَصَبُ

أيُّتها الريحُ المجنونة..

افتحي طوايا الجسدِ واسكني خفاياهُ،

وايالكِ أن تغادري الخاليا..

فالغولُ الذي يبتلعُ الريحَ يحومُ حولَ الكونِ

وأنظمةُ قتلِ الإنسانِ تتراكمُ في أجهزةِ الإحصاءِ

والبرمجةِ والتدميرِ..

أيُّتها الريحُ العاصفةُ...

ادخلي عروقَ الشجرِ،

ادخلي عروقي..

وإياك والمهادنة ...

فقد قال القلبُ كلمته،

وماجت الأشياءُ.

والنخلةُ لا تُجيدُ الانحناءُ..

النخلةُ لا تتحني، ولذلك إشتعل الكونُ..

أيُّها الريحُ الحديديةُ المرّةُ...

علمي الجبالَ الرأسيّةَ أن تهترأَ بالمطرُ

وعلمي الزوايحَ أن تقتلعَ جذورَ الأرضِ

كي تُخرجَ أثقالها..

.....

يقولون ليلى عذبتكَ بحبها حتى انطفأتُ

نيرانُ الملاحمِ..

فيا إلهَ السماءِ،

الهي..

خذ الشوقَ منِّي

وأطفئْ بنوركَ ناري

خذ الشوقَ منِّي

وأطفئْ سعيَ قراري

خُذ الشوقَ،

خُذ الشوقَ،

خُذ الشوقَ.....

وهذا الشوقُ وحدهُ لا يخونُ

لأنه الحبُّ لم يسقطُ أبداً،

ولا رتقَ أ ثوابه.....

ولأنه الهمُّ الذي يعطلُّ الهمومَ

ويحولُ بين الوجدِ والرحمةِ....

وعلى قدرِ المحبةِ يكونُ الشوقُ

وقلوبُ المشتاقينَ منورةً بنورِ الله..

فإذا تحركَ اشتياقُهُم،

أضاءَ النورُ ما بين السماءِ والأرضِ،

وخرَّ الملائكةُ ساجدين..

والشوقُ يصرخُ في سماواتِ لغةٍ تتفجرُ

في غورِ روعي،

تفتحُ مدناً أسطوريةً تلوبُ براكينها

ليلَ نهارٍ....

ويسيلُ حنائها أنهاراً من عسلٍ..

والله يُمسكُ السماواتِ على إصبعٍ..
والأرضينَ على إصبعٍ..
والجبالَ على إصبعٍ..
والشجرَ على إصبعٍ...
والخلائقَ على إصبعٍ...
لكنه يُمسكُ قلبي بحنانٍ كفيهِ كليهما...
ويقولُ :
لا تخافي..
أنا الملكُ..
وهذا الملكُ لكِ،
فأوقفي أنهارَ الحزنِ،
وادخلي في الأمانِ....
لكنني لا أدخلُ،
فأنا على الأبوابِ أنتظركِ،
حيَّةً،
ميَّةً،
مبلولةَ الشعرِ،
في جسدي تفوحُ رواثِحُ نيرانِ صحراويةٍ..

وفي كفيّ تتكسرُ كؤوسُ الرحمةِ،
وأبصرُها تتشظى.....
في فضاءاتِ وأبراجِ
وأفلاكِ بعيدةٍ...
وفي داخلي تموجُ الأكوانُ والأجرامُ والنيرانُ..
وأظلُّ على أبوابِ العرشِ انتظرُ...
موحشةً،
وخائفةً بدونك.....

(6)

سفرٌ في الروحِ،
سفرٌ في القيودِ،
سفرٌ في الأغلالِ،
وسفرٌ في العيونِ..
في مياهِ الأصابعِ،
في سماءِ السواعدِ،
في العلمِ الأزلِ...
ولغوبٍ في نعيمِ الشفتينِ.

ويقولون..

تجنّب،

تجنّب،

فكيف وأنتم حاجتي أتجنّب...؟

◆◆◆

أهذا أنت إذن،

مسافر،

مقيم..

يقذفُ على الأرصفة أوراقَ انتمائه ويرحلُ

ويلوبُ الرملُ،

يشتعلُ،

يُبعثُ ...

وبحرُ المواجد يطوي كلَّ ذلك بصمتٍ

ويقفلُ ضفافة....

والأبيضُ المتوسطُ يهادنُ دمي

المتوسطُ العاشقُ، المغامرُ،

الوَلِيَّةُ،

المدلُّ،

النافرُ،

والمذبوحُ على موائدِ الخمارةِ البيضِ

بقبعاتِ رؤوسهم الصفراءُ.....

.....

المتوسطُ المسالمُ،

الهادئُ،

الهائجُ، المجنونُ

يفتحُ للحبِّ موجتهُ،

ويدعوكُ..

وأنا أقاومُ الخطيئةُ،

أقاومُ خطايايَ وخطاياكَ معاً،

وأسألُ..

لماذا أنتَ بعيدُ..؟

والمقاومةُ سرِّي،

وسيفري،

وسطوةُ انبعاثي..

المقاومةُ سرِّي،

وسندي،

ونهايتها.. لا أبد.....

و.....

لو أن ما بي على صخرٍ لأوهنه..

ولذلك انهارت الجسورُ،

وتهاوت الأركانُ

وظلّ قلبك متوجساً ينتظرُ ما سيأتي

بعد أن يبوح الكونُ بمكنونه،

وُتسفرَ الأسرارُ..

(7)

من جسدنا يبدأ العالمُ..

هكذا عرّفَ الفلاسفةُ محنةَ البداية....

محنةَ الجسدِ - العالمُ..

الجسدُ - الكونُ المرمرِيُّ المقدسُ

جسدكَ الناظفُ بين ساعدي

يقذفهُ الجبلُ نحو البحرِ

ولا يفسلُ البحرُ جراحه....

الجسدُ - شجرةُ الله المخضبةُ بالنورِ،

وسعيرُ اللحظة التي تُمسكُ بجلايبِ

استغاثتي أن تبوح....

واليقينُ هو العلمُ المستودعُ في القلوبِ

فكيف أنتظرُ تحققَ الأسرارِ

بأحكامِ الغيبِ..!

وأنا أقاومُ....

أقاومُ حزناً مُراً،

حزناً رصاصياً يهبطُ فوق صدري

جبروتياً كصخور قلعةٍ آشورية.....

وأنا سجينَةٌ سومريةٌ بلا قيثارَةٍ ولا قواريرِ

سجينةٌ محكومةٌ بصفرة قبعاتٍ ملوثة....

وأنا أُصلي،

أُصلي،

أُصلي....

وأدعو السماءَ أن تطفئَ حرائقَ الأنهارِ القديمةِ

كي لا تتغيرَ معالمُ المدنِ،

وتسقطَ أعمدتها

أمام عاصفةٍ جذورها الأزلُ،

في التماع الأعين،
في نداء الأذرع،
في الألق،
الألقِ القدسيّ المحرّم،
وإنها الخطيئةُ هذه الوحشةُ الأبديةُ،
ما دمنا نمتلكُ صدوراً وسواعدُ :
أكفُ مرفوعةً،
ونارُ موضوعةُ
ومفاتيحُ جحيمٍ تتساءلُ
لماذا أنتَ بعيدٌ؟
.....
ريشُ الطيورِ المذبوحةِ يخزُ صدري
وتلوحُ في حياذ ذراعيكَ رُوحِي...
وهل يحتاجُ العذابُ إلى براهينٍ...!
يسرقُكَ البحرُ،
يسرقُكَ النهرُ،
تسرقُكَ السماءُ،
تسرقُكَ الجراحُ،

المشتعلةُ وُجداً ومحنةً...
وحبكَ محنتي وتعويدتي وغيمُ رُوحِي..
حبكَ الليلُ المقيمُ بأنوارهِ،
ولطائفهِ وأحوالهِ ومقاماته...
حبكَ عبيرُ الأرضِ إذ تصيرُ لها أجنحةً بنفسجيةً،
تنهضُ لتعانقَ السماءَ لحظةً انكشافِ الملكوت...
وحينها أستغيثُ...
الهي...
أعودُ بكَ من طوارقِ الليلِ إلا طارقةً حباً..
.....
نهاري نهارُ الوالدينِ فان بدا
ليَ الليلُ هزنتني إليكَ المضاجعُ
.....
وهكذا نبداً وننتهي في قلاعِ هذا الجسدِ،
في سماواتهِ،
في بحورهِ وسهولهِ وهضابهِ،
وأنهارهِ، وخفائهُ، وخطايهُ،
وحقولهُ....

وحدها ذراعي العاجزة عن انتزاع حضورك....
وأنت اللطى،
والندى،
والسنا،
النعيمُ....
المنى....
وأنت القريبُ،
البعيدُ،
الغريبُ،
ضلالك تقوى،
ضلالى خلقُ،
وسطوُ،
وأنشودةٌ رُتلتُ قبل أن يُخلقَ الكونُ
أو تستفيقَ البحارُ،
وقبلَ انكشافِ الشمسِ على الأفقِ،
قبل ولوجِ النهارِ..
.....
صار بيتي يقرأ خطواتك..

أليفةٌ تستفزُ نيرانَ روحى..
هل تقرأُ نيرانَ روحى..؟
وعلى الأرائكِ،
على السجاجيدِ الصغيرةِ
في الزوايا،
في الأركانِ الدافئةِ أوراقكُ....
وفي أدراجِ قلبي ملفاتُ حزنكُ وحزني،
وفي خلايا عُرفي ينسلُ نبضُ جنلٍ..
نبضُ يتفتَحُ مُدناً، ومآذنَ، ومعابدَ.....
وأقماراً وجنانَ سعيروُ.
نبضُ ينسابُ في أرجاءِ البيتِ شواطئَ أمنٍ
وسطوةُ..
ويحملُ لي في بهاءِ الليلِ نجداً وعرارها،
ورندها،
ونوارها،
وريمها،
وميسها،
وشجاها....

وهل بعد العشية من عَرَارٍ...!

فيا أيتها الحقيقةُ،

يا نورَ قلبي،

لا تدعي الظلامَ يحدثني،

فيومَ انحدرتُ إليه أظلمتُ عينايُ،

وفي ذلك الضلال سمعتُ صوتك يدعوني...

وها أنا أعودُ إلى مياهلك الحيةُ.....

أشربُ منها وأغتسلُ....

بنورها أحياء....

لا يبعدني عنها أحدٌ..

.....

.....

.....

في أواني الطعام أبصرُ وجهكُ

على المنضدةُ،

في لهفة الكؤوسُ،

في فناجين القهوة،

وفي مرايا السكاكين....

والمساءاتُ وجلُ،

ووجعُ،

وتربُّصُ....

والمساءاتُ قلقُ الأرجوان الرصينِ

في غابةٍ مُربكةٍ....

ووحدي المأخوذةُ بخوفٍ أزليّ

والبحرُ ليس بمألنٍ..

.....

أشياءُك توجعني،

أشياءُك تتغرسُ جمرًا في غياهب جروحي....

فكيف ستذهبُ أشياءُك،

وتلتاغُ داري...

دفعَةً واحدةً كموتٍ مفاجئٍ،

أم بهدوءٍ،

كأمراض الشيخوخة..؟

وأيهما تفضلُ أنتُ..

الرصاصُ المباغتُ،

أم الحقنُ الطويلةُ المدى..!

وأشياءوكَ تركنُ ودِيعَةً كطفل بريء
هل البريء أنت..؟
وأنا المقتولة، الصامدة، الغائبة،
الحاضرة،
والمغمورة بالنار،
من الذي قتلني..؟
وتقولُ : المعرفة ما وجدته،
والتحقق بالمعرفة ما شهدته..
وإذا كانت العبارة ستراً
فلا تطلعي على السر.
أشعله في دمي،
لعلك تقاسمني اليقين....
.....
أتشبثُ بالظلال المستحيلة،
أتشبثُ بالشك الذي يلوح بك وينأى.....
الشك الذي يجعل يقينك جمرَةً
وصحراء أسمعُ نشيجها في فضاء ليلٍ داكن.....
والصمتُ، الصمتُ..

الصمتُ دوائي،
الصمتُ يصلني بك،
ينفتحُ عليك،
ينفتحُ لك،
ومن أجلك.....
وللحبِّ علاماتٌ يقفوها الفطِنُ،
والعينُ بابُ النفس الشارخ،
وهي المنقبة عن أسرارها،
والمعبرة، لضمائرها،
والمعربة عن بواطنها..
وفي البواطن أذى،
في البواطن ينزفُ الشجرُ وتذبلُ العصافيرُ،
وتتكسرُ المصاييح..
ومن عرفَ الحجابَ أشرفَ على الكشفِ
و....ولما شكوتُ الحبَّ،
قالتُ كذبتني....
فمالي أرى منك العظامَ كواسيا
وفي العظام يموجُ همسُ المعرفة وهو يخاطبُ الوجودَ

حرّاً كيوم أطلّقتَه يدُ الله في اليوم السادسِ
ثم استوى على العرش...
وعرشي مجروحةٌ كُرسِيُّهُ
ضيقةٌ لا تستطيعُ احتواءَ هذا العلمِ المكينِ،
وأنتِ الفعلُ ونقيضُهُ،
والحركةُ ونفيها
والحياةُ واندحارُها،

تعاويدُ الفقراءِ أنتِ

رقصةُ الجرحى على موائد

السكاكينِ،

اختبئُ في ضوءِ عينيكِ،

في انهارِ صدركِ،

في ميامِ أصابعكِ،

اختبئُ،

اختبئُ،

اختبئُ.....

فكيف ستقذفني للطوفانِ،

وتمضي..!

يا نسيمَ الريحِ قولِي للرشا
لم يزدني الوردُ إلا عطشا
روحهُ رُوحِي،
ورُوحِي رُوحُهُ،
فكيف سأختصرُ وجعَ المسافاتِ الهِي.!
ها أنا اصعدُ،
اهبطُ،
يرفعني الموجُ،
السرمدُ،
الأزلُ.
يقتلني عصفُ أهوجٍ....
وهوجاءُ هي العاصفةُ،
لأنها تتسحقُ بانسحاقنا هي الأخرى،
ومن يشفي هذا الجرحَ المخضَّبَ بالنارِ؟
والليلُ لا حدودَ له..
الليلُ صحراءُ متحركةُ الرمالِ تأخذُ إلى الهاويةِ
منَ عليها،
تأخذُني،

تأخذُ لواعجَ صدري
وبلابلَ شجاي،
ووجعي،
وانخطافاتي..

وفي الليل تلوبُ الكلماتُ،
تلوبُ اللهفاتُ،

"ولو كان البحرُ مداداً لكلمات ربي لنفدَ البحرُ
قبل أن تنفدَ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا.."
"ولو أن ما في الأرض من شجرةٍ أقلامٌ،
والبحرُ يمدُّهُ من بعده سبعةُ أبحرٍ
ما نفدتُ كلماتُ الله.."

وأنا ترحمني كلمةٌ واحدةٌ تتخطفها أصابعُ
السماء والأرضُ،
تتلجلج في عينيك،
ثم تختفق...

وتسعنني نجمةٌ تسقطُ من نور يقينك
كي تستقر في غور روعي،
لكنَّ نجومَ عينيكَ سكنتُ أبراجها

فغامت الحركةُ،
واستقرَّ الظلامُ..
والليلُ أزلُّ،
ابدؤ...

والشمسُ معلقةٌ في البلاد الغربيةِ
لا أسمعها،

تدعوني

وأدعوها،

ولا تسمع..

والتهمةُ دربُ الباطلِ،

والأسئلةُ فعلٌ يلوبُ،

فعلٌ مشاغِبٌ....

وأنا لا أحبُّ الجوابَ لأنه يُسلمني لنزوةِ سجينَةٍ،

أو أزمة مغلقةُ،

أزمةٌ تختصر إيقاعَ الموت والتمني

ورائحة ملكٍ لا ينبغي لأحدٍ من بعدهُ،

وأين المفرُّ..

عيناك سجنٌ،

فيا طيفها بالخيف إن مزارها
بعيدٌ ولكن دون ذلك أهوالٌ وآجالٌ
ومسالكٌ ومعارجٌ،
وكانت الأرضُ خربةً وخاليةً..
وعلى وجه الغمر ظلامٌ
حتى جاءتُ روحكُ،
ودبَّ الحنينُ....
فيا أيتها النفسُ المطمئنة علميني
فما بين الولوج والمعرفة علومٌ وغيومٌ
وكلومٌ علمها عند ربي،
يُخرجُ الحيَّ من الميتِ
فأخرجني من مواتِ رُوحِي
وزدُ وجدها اشتعالاً،
وأنهارها فيضاً
وشجوها اغترابٌ...
وآتها اللهم المعرفة واللهفةَ
وفصل العذابِ

والقصيدة سجنٌ،
والكونُ سجنٌ..
فأيُّ السجونِ أختار..؟
إذ اختارُ سجنَ القصيدةِ،
لا يؤويني الزمنَ الذي أريدُ..
سجنُ القصيدة لا يلبثُ أن يقذفني خارجَ زمنه
ليحتويني زماناً مرّاً أحلاهما..
فأسقطُ ما بين الجحيم والزمهرير..
والأندلسُ بعيدةٌ،
وأنتَ بعيدٌ..
والمدنُ تدورُ،
والأكوانُ تدورُ،
وأنا أدورُ...
ووجدكُ الثابتُ راوياً
كنتُ مخطئةً يوم اعتقدتهُ عليماً
وحدكُ الثابتُ..
البؤرةُ التي انفجرتُ لتتسعَ دوائرُ البؤرِ
وتتشابكَ الخطوطُ..

(8)

يَخْرُجُ الرِّبْعُ مِنْ بَيْنِ الْأَصَابِعِ
وَتَهْضُ شَمْسٌ فِي الْعَيْنَيْنِ
تَتَفْرَشُ السُّهُولُ قَطَاً
وَتَفُوحُ الرَّمَالُ..
وَوَسَطَ الرَّمَالِ شَجَرَةٌ مُبَارَكَةٌ
يَسَاقُطُ ثَمَرُهَا عِنَاقِيدَ ضَوْءٍ فِي
شُرْفِ رُوحِي..
وَوَسَطَ الرَّمَالِ شَجَرَةٌ تَبَثُّ إِشَارَاتِهَا
فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ..
فَتَبْرِقُ السَّمَاءُ،
وَيَرَعْدُ الْكُؤُنُ،
وَتَشْتَعِلُ الْأَشْيَاءُ.
وَوَسَطَ الدَّوَامَةِ يَمْلُؤُنِي صَوْتُ أَثِيرِي..
بَاطِلَةٌ كُلُّ الْأَشْيَاءِ...
بِهَاءِ الْأَرْضِ،
عَطَاءِ الْأَرْضِ،
الْعَيُونِ،

الْجِبَالُ،
الْيَنَابِيعُ،
أَلْقُ الْعِنَاقِيدِ،
لِيَبْقَى أَلْقُ عَيْنِي وَعَيْنِيكَ،
الْقُ الْمَعْرِفَةُ..
الشَّجَرَةُ الَّتِي أَحَبُّ..
أَنَاشِيدُ فَرَحِي وَحَزَنِي
الْوَرْدُ الْمَتَسَاقِطُ فِي مَنَابِتِ عَدْوِي
وَتَبْقَى غَزْلَانَهُ الدَّائِرَةُ حَوْلَ عَرَشِينَا...
تَبْقَى مَصَابِيحُهُ هُوَ،
وَقَنَادِيلُهُ،
وَتَجْلِيأَتُهُ فِي شَفَقِ رُوحِي،
تَبْقَى نِيرَانُهُ،
وَمَوَاجِيدُهُ،
وَمَكَابِدُهُ وَصَلَهُ وَفَصَلَهُ.
وَتَمْرُهُ الْمَشْتَعِلُ فِي شَجَرِ قَلْبِي،
الْمِضَاءُ بِحَزْنٍ فِيهِ مِصْبَاحٌ فِي زَجَاجَةٍ
يَكَادُ اغْتَرَابَهَا يَضِيءُ،

والعودُ إلى المحظورِ،
وأنا أنتظرُ قمرًا يليقُ بفصولي
يليقُ بشُرفِ البيدِ التي تسكنُ دمي
يليقُ بخمرِ أزمنتي،
ونداء نُدائي
لكن ذراعيكَ ظَلَّتَا عاجزتين عن مطاولة
عنان السماء،
وظلت عنقُ العناقِ معلقةً في البرزخِ..
والسواعدُ مشدودةً نحو الوصلِ،
والوصلُ مؤجلٌ..
ففي أي اللحظات ستقوم قِيامةُ الأشياءِ
كي يتكشَّفَ لك نغمُ السماءِ في جلال ملكها،
وتغمركَ أنهارُ نارها،
وخمرها،
وجمرها،
وعسلها وشجاها
ومتى يهدي اللهُ قلوبنا لنوره
كي تُفتحَ الأبوابُ المغلقةُ..

لكنَّ النارَ شَبَّتْ....
واختلطتْ بالأنواءِ والأنوارِ،
والصورِ والصواعقِ،
فارتعدت الحرائقُ ليبدأ سَفَرُ الروحِ..
وأنت تقولُ لي:
في الروحِ صدأٌ..
والرحيلُ استغاثةٌ....
وأقولُ لك..
وفي السفرِ صدأٌ كذلك
وصدأُ الهجرانِ صدأٌ..
صدأُ نَفِيكَ عن أشياءكَ
وأنهارِكَ،
وينابيع معرفتكِ،
وعذابِ عذابِكَ وعلمِ علمِكَ..
وبين الولعِ والمعرفةِ سفرٌ وبرٌّ وبحرٌ
وامتثالٌ..
فمتى تمتثلُ معرفتكِ لمعرفتي..
وليس من دواءٍ إلا الدخولُ في الحضورِ

وَتُفَكُّ الْأَسْوَارُ وَالْأَغْلَالُ..
لنَسْقَطَ فِي حَضْرَةِ الشُّهُودِ
ساجدين ١٩
اشارات

- في النص اشارات من..
- القرآن الكريم
 - الحديث الشريف
 - الكتاب المقدس
 - الشعر العربي القديم
 - شعر ونثر المعري
 - القشيري
 - ابن عربي
 - ابن حزم الأندلس الاندلسي
 - القديس أوغسطين

غرائب الكون

الإهداء :

إلى عبد الوهاب المسيري

كي يحشر الربيع قمصانه فوق أعتاب الزمن،
وهو يحفظ جروحي من أعنة الليل
وأورادي من ضجيج المحن°:
ياإلهي..

بأيّ مسبحة أعدّ ذنوب العالم.. !!
في الطريق إليك أقود حقول زهر الشمس
وأحطم قلاع الزمن°،
في الطريق إليك أجمع بريق النجوم
في قوارير الرحمة°...
وأقود حنين أنهار تتشبث بنبض أرض
تهرب من حدودها،
تكسّر كرويتها،
وتمسك بأردان الجبال°...
في الطريق إليك°،
أسير خلفي لأصطاد طيوفك،
أعيدها إليك،
وأستردّ جروحي...
طيوفك التي لم تجد أحداً سواها

- منفلقاً من جوهرة الغسق.
تعدو خلفك سواعد الريح ولا تصل..
منفلقاً في وكنة الليل رمحاً من وشاية..
يبعثر كؤوسَ حجر خجول°..
ويتمتم في شفاه لحظة مواتية°،
أو فوق سرير آية° :
سبحان الله حين تحبّون..
وسبحانه إذ تكشف النيران عبيرها،
فتنهضون..



تتفتح الأبواب لنزوة الفجر
كي تخرج الخيول من فقاعات مطرٍ ظامئ...
تتفتح الأبواب لخريف المساء

يقهر ظهر الأيام الموبوءة بالرعب
ويكسر جذع الخطايا..

.....

في الطريق إليك
أجر هضاب المكيدة،
وألوذ بظلال شجر عاقر،
وأحتمي بأنين صقر يأكل من جرحي...
فينثال الدم من غصون الليل
ثعابين زرقاً...
ويقذف الفجر عرباته في حفر الغواية..
وتظل الذاكرة باذخة على الموت.

◆◆◆

في فضاء صمتك أشعل شجري...
ظامناً يتدحرج كلمات مشنوقة..
تفتح دلالتها عيوناً تتسلق أسوار بهائك،
وتكتب في أعاليها أسئلة طيور لاهثة
تنثر فوق رأسي حبات قلائد مقطوعة...
قلائد أتسلح بها من مداهمة زوارق الظلام..

ومن شظايا ترسلها إلى القلب
كوابيس العتمة،
فيخجل الموت القادم في الصفير
من ضوء وجهك،
ومن دغل قلبي المشتعل بأصابع الحسرة..
ومن الخجل المريك في أمنيات صغيرة،
تطل من شرف الشعر المكتوب
على أقفال العاصفة،
فيعلو همسها على الصوايخ
ويتعثر بأذياله الموت..
وأقول.. أحبك...
في عناقيد دمعي..
وأسورة شوقي..
ومعلقات أحزاني.
أحبك..
في ذنوب تبحث عن مغفرة
ومخالب أسئلة تتكاثر..
وفي بهجة كلام يحفّ به ندى أخضر،

وتزرعه عيون الضغينة ..

أحبك ..

في تمتمات الشجر فوق روابي الريح،

وفي حقول انتظارٍ خائفٍ ..

يضع كفه على قلبه

وعيناه معلقتان في الحمى،

كيما تضربَ أجراس حضورك ...

وأنت لا تأتي،

أجراسك صدئة في عيون الشوق،

وخرساء في محطات اللهفة ..

لا تأتي ..

وأسئلتني أعمدة صراخ صامت،

مكبلة الضفائر في أروقة الشك ..

أأنت الوطن الذي أطفأ عناقيد نارهم

في عيون قلبي ..؟؟

فانفرط المطر من أصابع الليل

حينئذٍ دافئاً،

وجداول صهيل تحدق في وجنة المساء ...

وأقول :

لا أحبك ..

والصواريخ تأتي من البحر ..

وتأتي من شهيق الوجع المعلق في دم الأطفال ..

متخثراً في شريان نهرٍ أخضرٍ

ونازفاً في خبايا الروح

أقول :

لا أحبك ...

ويحتاج الحب إلى ضحايا،

والأنصبة إلى قرابين ..

والياسُ إلى زهور برية ...

وتحتاج هواجسي إلى يقين ساعديك ..

وإلى جلال ملكوتك المتأرجح بين اشتعال روحي

ومعابر الحرمان المزروعة

في نقوش أسفارك .

وقلبك الجليد المنتظر بهاء ناري ..

خيولاً تعدو في أزقة الموت ..

فأفتح أبوابك لغبار الربيع،

أسمع عبيرك وهو يهرب من ذيول الزوبعة،
ويدخل توبة لا تعرف المهادنة..
أدخل شرف قلبك،
فتتلقفني المكائدُ،
ويضيع دمي..
أيها الوطن المزروعُ في دمي..
المشتعل في الخطايا..
والمعلق في الدروب المستحيلة..
مُطارداً بظلي..
لا ثباً بمواجدي..
ومأخوذاً بأورادي
مزروعةً في دقاتر روحك جروحاً غارية..
تتلفّتُ باحثاً عن جذور المدن..
اللاهثة وراءك..
عن صراخ النخلِ مذبوحاً يعدو
نحو البحر..
وعن وجع القداح في عيون وتر غريب..
ومأزوماً بأوجاع أشرعتي.

هذا الذي يطلقه آذار كلّ عامٍ..
مهديداً زوايا الأرض بزحفٍ يفتح الأبواب..
لصهيل الحرية..
وهي تحفر نورها في الجروح سيوفاً لمعارك الغد..
إفتح الأبواب إذ تشرع الأرضُ صدرها
لسيمياء الأصابع،
وسلالٍ وردها لبلاغة الحريق..
في فتنة الطوفان.
وهو يلتقط الكون من وحشة الهدنة،
ويؤثث بالعبير وديانته..
يا إلهي..
حنانٌ أكثر،
ورهبة أقلُّ
لعيون النرجس المطفأة..
حبٌّ أكثر،
ووحشة أقلُّ
لمواقع المواسم الشهيدة..
هكذا..

وأنا جسدٌ يرفع حقوله لإقتحام العاصفة...
وروح تمنح معصمها لأسورة المحنة ،
وصدر لا يعطي ساعديه لأعنة الريح .
ومعلقةٌ عناقيد الدموع في غصون قلبي....
معلقةٌ تنتظر دفء غيومك ،
كي تسقط في ثمالة التمني..
وتظل عشتار ترتعش في كنف الواقعة...
عشتار حجر طريّ بلا أجنحة ..
تشهقُ تحت أروقة الزمن ..
وتعطي الريحَ ضفائرها
كي تتسلقها إلى الخصب أجيال المحن...
عشتار وتر يترصد وِردَ الكلام
ومرهقةٌ أوراها...
تتسلق سلالم السماء..
ولا تصلُ :
ياإلهي :
ماء أكثرُ،
وعطب أقلُ

في موانئ أنوثة تخبئ مفاتيح الخلق..
تتربع فوق أدغالها صخورٌ مهجورة ..
ويضطرب في أحشائها همسٌ ورد غريب...
فترمي قمصانها الينابيع ..
وتتهض القوافل للعبور...
ياإلهي..
داكنة هذه السيمفونية ، متى تنتهي ؟
وطريُّ هذا الحلمُ ،
متى يبدأ .. ؟
وحبال المنى أقصر من أية دهشة ...
فيا سيدي..
ألق لي الأرض طاحونة تبتلع خطايا جروحك.
وخذ سماء ضيعتها يقظة المدّ والجزر...
وضيعها موج حالك في غبار الجسد ..
ولعنةٌ تدسُّ أنفها في شقوق أمنية مهملة ..
ومعلقٌ شجر الكلام في عيون اللفظة ...
معلق..
ولا ثمر.....

.....
روحي سواعدُ مبتورةٌ ،
فأمسك قبلاً لم تسقط من جداول شفّتيك ...
وعناقاً لم يؤمل..
وصدراً خانته الينابيع ...
أمسك غيوماً لم تسكرها نشوة نبوة..
وشتاءً لم يتوهج بساعدين..
وامرأة لم تحسن الاشتعال في مياه صدرك ..
أمسك نوارسَ خانتها الصخور ..
ونصوصاً ماتت في مياهها الأسماك
ولغة تستسلم لترميز ذاتها..
وتعال لغاية مفعمة برذاذ الفتنة
وحمى التشتت ...
تعال ..
كي استريح من غواية الهزيمة
وأكسرَ بجبروت الحلم عنهجية الزمن
وأهشم مساره ،
ليتيح صمتك أسئلة أكثر...

لفيافي الوجود القصية ..
لكن الدعاء يختبئ في جيوب المعصية ،
وتغمض عينها السماء ..
وحبك معصيتي..
وقلائدُ أسفاري
ونفيري إذ يخلد الناس للقطيعة...
حبك غنائمي من دم القبائل
وشارة براءتي
وبيتي في جبال الحكمة ...
حبك سماءً أرتديها
ومنفى يتسريل أطراف روعي...
.....
وروعي شجر من غمام ..
نهر ابتلعه الوجد ...
ومساءً من حرير أخضر
روحي جزيرة خائفة ،
ودغل هارب
وشفة مؤجلة ...

فيتحول صخرها الجبلي إلى مهرة من نارٍ
وتقع الواقعة ...
والبحر راعي الخليقة ،
يوم ترك مهمته
أسلم رعاياه للمجزرة ،
وسنابل أغنياته للحصاد...
.....
في الطائرات أبصر جوعى المدينة
زخارف ملائكية
تنزف فوق الوهاد غيوماً بيضاء..
تدور حولها غزلانٌ عسليةٌ...
وتلعب لعبة الوديان والجبال ،
ولعبة الجائع والسلطان ،
و لعبة القطن والنار..
وأبصر وجهك يكتب آخر الدراسات عن الحرية..
فتتبسم أجنحة الطائرات ،
ويختل التوازنُ ،
وتتال منّا جيوب الهواء..

وخوفاً أقلّ ..
ونشوة أكبر..
وعشتارُ يعطيها السرّ أنامله ،
فينجرح جسد الأرض بالصواريخ
وتتكسر الظلال ...
عشتار حجر تتوجه الينابيع بزنابق الظهيرة
وبعصافير من عسلٍ بريٍّ وأرجوان.
وما بين النار والرماد تسكن النميمة ،
وما بين الصمت والبكاء تسكن القصيدة ،
وما بين الحرب والحبّ يسكن قلبانا
أنا.. وأنت
❖❖❖
وعشتار حجر يرتجفُ
حجر يشرق في جفونه موت مفاجئُ
وأبجدية صادية...
حجر أحرقته المياهُ
ودالية خائفة ..
عشتار سيده تضىءُ ،



ستون ليلاً....

وأنا أستل وجعي من عظام النوارس°.

أبسطة على الشواطئ

اصطاد به مراكب معطوبة،

وأواجه أنين المطر القادم من صخرة أدحرجها

من ليل لآخر،

وأجهل على أيّ جبل ستؤول غيومها....

في الطريق إليك أقود الشرف المشرعة

على البحر:°...

الشرف المشرعة على الموت°،

أقود الأشرعة إلى عتمة عينيك

وأستسلم لموت غامض...

وصعب عليك الدخول

وتفتح أسئلة بابها،

ومشاكسة هذه الأرض

تجمع عند الغروب خيوط اغترابي،

تشكلني كرة من عذاب،

وصعب عليّ الخروج°...

أخاف من الحب،

والحب يدخلني وطناً،

وبساتين آمنة،

وحقولاً من الشيخ

تذوي على مهلها في جروحي،

وصعب عليّ الخروج°...

وفيك حدائق روعي تفتح أروقة الياسمين،

وتبلغ رشد العذاب°...

.....

- في الطريق إليك أرمم الأمل

وأصحب مجد الأنهار لسواعد بحر

يبتلني في النهار

ويقذفني في الليل على الشواطئ°.

نبية مهجورة بلا حواريين،

ولا يقطين°..

مدثرة بنشوة أيائلي الممهورة بالعصيان،

والمسورة بسؤال ثمل يؤثث فضاء لغة صامته°...

فتضطرب أعمدة الحكمة
ويبدأ الطوفان..؟
هناك في عبير تفاصيل المساء
في زهول الرمال
وأصابع الفتنة التي تكتب حروق روحي...
في دفء الأعاصير الرحيمة التي تحرث بحنو قلبي..
أيها الوطن النبي..
عطرك دعاءً،
وحضوري استغاثة...
وصمتك موت يدثرنني بالغواية...
والليل يتساءل عن صدى امرأةٍ
تبكي بدموع مجروحة..
فيتساقط في نشيجها تفاحٌ يبعثر سكون دروبك،
ويواصل العبث بقطارات ثكلى،
تفرش أنينها في صحارى زمنٍ
ينكفىء في أودية المقامرة
ويلوب في حطام التمني..
والمطر عطش...
.....

لا تعطي الرياح مفاتيحها...
ومن يحصي قُبَلَ العشاق في الليل...!
هكذا يلامس الجواب حواشي أرضٍ جذلي،
تحتضن يواقيتها...
وترفض أن تبوح...
.....
في الطريق إليك أجمع مفردات لؤلؤ
خانه الصيادون،
وأدخل مرمر الهضاب المقفلة°
صخراً يحتاج المشيئة ليصير
أعمدة ونوافذ...
وأبحث عن يشتري كلّ هذا الحزن
من سنابل قلبي،
وبأردية الخوف أصلي
لوجهك الذي يمارس الهدنة°
ويقود الجداول إلى مخابئه السرية
ليجمع جذورها هناك...
أوجهك هذا الذي يُشعل غرائز الكون

.....
لكني أخافها...
أصابعها في الليل حبالٌ تلفٌ جيدي...
مطرها الأسود رصاصٌ في الليل يحاصرني...
أشباحها صقورٌ تلتهم غصون روعي،
فتفتح الأرض ذراعيها
لامرأة تموت بصمت نبوي،
وبصمت الأنبياء تبحث عمّن يخلصها
من المساءلة...
والصواريخ مخلوقات وحشية تعدو نحو البحر...
تبتلع في طريقها الأنهار والفيافي
واللقى،
وتبتلع ورداً يتفتح في أنامل الليل،
ويقرأ سطور المحنة...
وأنا مذعورةٌ أحمل صخرة صبري
وأشتعلُ وسط الدوامة..
أبحث عمّن ينتشل مناديل حبي
لكن النمر الوحشية تبتلع السماء..

الأنهار عطشٌ...
وعطشٌ بحارُ الوجود..
والحديقة صامته تتسلّى بوحشة أيامنا..
تذبل في عباؤها مفردات الثمر
وتتزف الجذوع..
رددتُ ما قاله النبي ألف مرة..
ربُّ لا تدخلني بالتجربةِ
ونجني من الجحيم...
لكنك قلتُ :
ربُّ أدخلني بالتجربةِ ،
أجلو الحقيقة ، وأتطهرُ
قلتُ :
لكنهم أوصونا ألا نكون أصدقاء بإفراط،
لئلا ندخل في الوحشة...
قلتُ :
فلنخرق الوصية إذن
فأنا..
لا أخاف الوحشة.

والشفاه اليابسة°..
يا أنين المداخن الضارعة على طول الزمن
مربكةً وسط غابة مهمة°..
وملتاعةً أحداق الوصال°.
وثمر العناب يتساقط ليطرز شُرْف الوجد الصارخ
في محنة قلبك وقلبي...
قبل أن يسدل الظلام أستاره°..
دلّني على شجر السرو الشامخ في قبور أهلي،
أتعلمُ حكمة الحجر°..
أيّها الوطن الخرافي الطالع في أريج عطري...
النابضُ في وجع دفاتري...
المشتعل في غور روجي..
هاهو العالم يتشظى أمام عيني...
أشلاؤه سنابل جوفاء تطاير عبر ريح مسعورة°،
تُساقط في فضاء القلب عصافير مذبوحة..
وصبيةٌ مضيئة العينين تفتح للدوار ذراعيها،
وتموت باستسلام°..
فمذ سقطت أعمدة الزمن،

وأظلُّ أدور في فراغ°..
الفراغ، الفراغ، الفراغ...
وامرأة ذابلة تطلع وراء سياج الحقيقة°..
تنهض الهاوية من أعماق الزمن°..
ويكبر الأطفال مشوهين°..
.....
- أيّتها القنابل الصفراء المقفلة°
أيّتها القنابل النحاسية°
أيّتها الأعمدة المنهارة وسط قاعة الحياة الخرساء،
تعبت فيها الضوضاء فجمعت أشلاءها
وانسحبت إلى زوايا العتمة°..
أيّتها الثعابين السود°..
أيّة طراوة انثالت على صدورنا،
وحيثما امتدت سواعدنا للعناق سقطت
حوافرُ الأيام ما بيننا...
وامتدت لوعة الزمن تنزف دموعاً جوفاء°..
أيّتها الأكف الصفرُ،
والوجوه الزرقُ،

فإذا الخيمة الكبيرة مطرقة° ،
وإذا الرحى العاتية تنهضُ
كي تطحن الصحارى.....
و.....

تعب اليقطينُ ،
تعبت أغصان القلب
تعبت أصابع المحنة.....
فانهارت صخورُ الميناء
وتوقف الزمنُ ...
وانطفأ سعي الدهر
وسكنت الأشياءُ ...
وأنا..
بسواعد الرياح أتحدى
وأمسح الغبار عن وجنة الكون..
ووسط المحنة أنزرع في تراب العاصفة°
وأقول للبحر :
ابتلعني ،
كي لا أعود للسقيفة مرةً أخرى..

صار للغزلان أوجه بوم° ..
وصارت الأمنيات ترقص رقصتها الليلية
على عزف كلاب وحشية ..
فيا مطر الربيع الواجم ..
يا غبار صيف الألم°
أيها الخريف القادم الطويل ..
خذ إليك قبعة الأيام الآتية ..
فالبرد سيكون قاسياً هذه المرة° ...
وستمر الليالي السوداءً طافحة بالغرابة ..
وعليك قبول الحقيقة القاسمة ..
ذلك أننا نغادر دوماً منفردين°
وأبدأ في وحشة ..
وأن أصابعا التي حاولت أن تمسك بخيوط الأشياء
كانت واهمة ...
فالحركة كانت تقتحم السكون°
وكان السكون يجتاح الحركة ...
ودون أن ندري
كان كل شيء يتحول ..

تتقاذفها الملائكة في لعبة الجنة والنار..
وجميلة هي نارك.. يا شجر الوجد..
جميلة نارك ،
باردة الكفين ،
دافئة الجبين
وأنا وسط النار أتلظى..
وأحلم بدوحة أرجوان جديدة..

إذ تجتمع ثائرات التاريخ تقودهنّ (ليليتُ)
في معضلة الصوت والصدى...
من كان الصوت ومن الصدى...
ومن الذي خلق من حياة
ومن كان التراب...؟
"وليليتُ" جنية الليل المجنحة..
هل كانت حارسة العتمة أم كانت
فراشة الضوء المفخخ بالوجد..؟
أما زالت تسرح شعرها ،
وتبحث عن يهدد إقدامها لتشاركه الفعل....
أم قصت صفائرها الكستنائية...
وهجرت جنته وظلال نارها البنفسجية..؟
.....
ثائرات التاريخ يصارعن المحنة..
يقارعن بلقيس التي أسلمت للصياد عرشها
ويرفعن راية امرأة العزيز..
إنها الحقيقة عارية في صومعة الصمت..
وهي الحقيقة المتدلّية بالوجد على حبلٍ من مسدّ..

وتسكن الرياحُ ..
نايات غيابك تفتح صدر الصحارى لأوتار الحزن
وفجاج الكون لأصابع الحمى...
وتظل الغزلان تلوب.....
نايات غيابك تنشر الصمتُ ،
مفصحا ينبثق من نبع الروح ،
ويعرش في براريها....
صمتا تكسوه بلاغة الصوت
وتحف به هيبة الجبالُ
صمتا يقول كلمة المستحيل في لحظة عارمةٍ
هي لحظة اختيار سلطوية ..
تملي عليك ان تدخل الوجودَ في ملكوتك...
وان تشتعل بالوجودُ ...
نايات غيابك تنهمر وردا ابيضَ
على أعمدة الكون...
فيستسلم الصمت للكلام
وترفع الاقلامُ ،
ليبوح البوحُ

وهل ترثى.....الجبال إلى عبد الوهاب المسيري

وردك الابيض نامُ..
فوق صدري...
وردك الابيض مالُ
فوق خصري...
وردك الابيض غاف في الظلال...
.....
وفراشات المساء تلوب حول ساعديك ..
تبحث عن نار تعطي الرياح إشارتها
كي تسقط في مجاهل الحريق...
نايات غيابك تصرع الافق.....
فتتعب الارض من الدوران ،

وتكشف الصحف...

ومابين الجلد والعظم تشتبك الوقائع..

تفتح أذرع الدعاء كي ينكشف الغطاء

لأبصر بعين اليقين ما يحجبه الحجاب عني...

ولتدم هذه الألفاظ التي تملأ السكون بوحاً،

وتضفر في نسيج الفضاءات عطرا،

وفي حرائق الجسد تسايح...

وأبصر صمتك مضافواكبكبرياء الوجع

وجعا من نعيم،

وفردوسا تتعالى على الهواتف...

سدولا من الحكمة الشاسعة

تُظللّ قلوبا تتكسر تحت مطرقة القيد..

وأنامل تمسح أعيننا من جهامة الحجارة

وأذرع الموت...

وينمو الدغل في أريج القصائد...

يتفتح الجسد شرفا وأسئلة وشناسيل..

والمدن تشتعل في فوضى التطلع..

تشتعل المدن بأساها

ومواجد لياليها...

في فواصل الهديل،

في أشرعة حرائق نينوى

وغموض بحررتأجج في قعره النيران...

تبحث في نموذجك التفسيري عن اشتباكات أساها

وعما يكسو عريها الاليم...

تشتعل المدن وهي ترسم لانهائية قلبي

وتزرع في سماواته بروق الحكمة

وفي فلواته عنادالريبع...

.....

وشرر البرق يخطف شجى الامنية...

شرر البرق يدخلني في الصلاة

فأغمض عيني وأدخلك في النعيم معي...

ليس علوقا..بل وطننا من نور...

شرر البرق...

ندى الذاكرة..

همس الصحراء في إشكالية التحيز

يمتزج هذا بالكل..

وبتسلل مياه ما بعد الحداثة ..
بأوهامها...
واحتدام أسرارها وأساها...
ووجه المسيري ينام على وردة
أعطت وردتك رحيقها..
وردة تطأ جيد العنف بالحب،
وغربة الاستعلاء بأنامل البهاء
لتزيح الغبار عن جبهة شجر متعب...
وتهز (الجماعات الوظيفية) في عالم مخاتل
كي تكف سواعدها عن ذبح الانسان
في (نموذجك التفسيري) يفتح التحليل روض المعرفة
لتمتد أنوارك في الجذور..
مأخوذة بتاريخ يصنع نهايته الانسان..
تاريخ لايتدلى على حبال فوكوياما..
ولايتقلب في إرجاءات دريدا
وفي عدمية الهوى..
حيث تسقط الدلالة في شباك المحنة...
.....

والكل بذلك ..
يمتزج عبير قلبك بوسوسة هواجسي
فأرى الاكوان رأى العيان...
.....
وغيابك يحول البحر الى ماء...
والجبل الى كتل صخرية..
والحدائق الى شجر موحش..
غيابك يقتنص حركة الزمن،
ويستلب (اسم وردة) لم تجد ألقها
إلا في ومضة كلام...
ايكو...أي حزن يكمن في هذا الغياب
واي نار تشتعل في عيون الكتاية
حيث يتداخل الغموض بالكشف..
والاغتراب بالالفة..
والتناقض بالانسجام..
ايكو...
هنا تنام العصور ولا تستيقظ..
ويطل الزمن مغدورا بطعنة الحاضر

وغيابك يشرق في ثريات حزنٍ

تخاصر أعطاف الليل..

لا تبتعدُ

مات اليمامُ..

وتتأثر الرمان مقتولاً

وأوصدت الخيامُ..

.....

ووحذك تملأ الأفق غماما أخضر..

ووحدي أستقبل هبات الوجد..

إشراقيا يجتاح غربة المسافةُ

من أجل وصال لا يتواصل..

وشوق لا يعرف السكون..

ودهشة تتساءل..

ما جدوى الأنهار في فضاء عطشٍ

لا يعرف الرواء..

وما حكم القراءة في فضاء نصّ

يرفض المسألةُ

.....

تتداخل الذات بالآخر..

ويتداوت الآخر بالذات..فأنسى من فيهما أنت،

وأيهما..أنا...!

والرويُّ خطابُ أفعال ترقى على الكلام..

ورويك تهجدُ..

وهمسي عبادةُ

بكليهما نخاصر الكون ونصعد الى السماء..

.....

وغيابك محنة العارفين بمعرفتهم

ووجد الحيارى بوجدهم..

وعبير الرمز بغموضه...

غيابك يشعل في (إشكالية التحيز) عيون النميمةُ

ليبصر العالم ما يجري بسوح الغواية..

وعلى الأرضفة يتبادل المهمشون الأدوار...

مجنون يسرح شعر الحكمة..

وحكيم يزرع النار في الهشيم...

وعلى الارصفة دم يسيل،

وأعضاء تتبعثر..

ينهضن...بأكاليل أسئلة تتناسل ..
أسئلة تكمن أجوبتها فيما دونه قلمك
الذي يكشف ما يحجبه ادعاء ينسج شباك المخاتلة
ويكتب جرح الانسان ..
كيف أرثيك ..
ومرج الشعري دور في فضاء خمر
تمنح الشجر غيبوبته
والارضَ عبيرها ...
وتمنح الشواطئ فتنة التواشج ..
وزهر اللوز يتبعثر حول بسمه نامت فراشتها
في لهيب الروح ...
منهمكة بنسج ورد الحقيقة
ومضيئة بحضورك في الصمت ..
.....
لا تبتعد ..
بدأ الحوار الآن من دمك المطرز بالوصايا
بدأ الحوار الآن من دمنا المكبل بالخطايا
وقوافل الركبان تحددو الطير نحو الدوح

جث أطفال ونساء ورجال ...
ووسط الشارع يقرع المراهقون طبول المجزرة
ويهزج الغريان ...
قابيل مخضب الكفين بوحل الوشاية ...
على كتفيه يحمل توأبيت ..
توأبيت ..
توأبيت ..
تنهض الشهداءات في كل تابوت باذخات ..
أطوار بهجت بعيونها الخضر كلون الجنة ..
دليلي عبد الله سعيد بتاج علمها المحضوف بالهيبه ..
ودباسمة سعيد بعناقيد حنان لؤلؤي
يتساقط من غسل عينيها
ود.ايمن عبد المنعم بحلة شبابها الوردية ...
ينهضن ...
ينهضن عبر طفولة عبير ودلال مغربي
ممتدات الجذور الى سمية
وآلاف الشهداءات يغمضن بصمت ..
دون إطلاقات ولا زغاريد ..

يبست تباريح الظمء
وذاب في الكأس الضياء...
.....
مرت على شفتي السحابة مُرةً
مرت على (الرمل) الترانيم الحزينةُ
والغضا يا مالكُ بنُ الريبِ
يزجي ناره فوق الغمامُ ..
ويدورُ...
بيحث عن أهله،
وعن أقواس غربته بأكداس الركامُ..
.....
وردك الأبيض مالُ
وردك الأبيض غاف في الظلال ..
وردك الابيض يغريني بأن أرثيك..
أن أرثيك...
هل تُرثي...الجبالُ....!

نحو منازل العطش المقيم...
بغداد تفتح ساعديها لنجمة الحزن الرحيم
وترد طرف رداؤها فوق الجراح..
عطراً يشقّ خريطة القدس القديمة للرياح..
.....
كيف أرثيك ..
وأنت معتصم بالدوار
وثمل بالضوء ..
ودمك يشعل بحرألاً يعطي الضفاف شريعته
بل يمنح قلبي عناقيد لؤلؤناريّ
يلتهم شريعة القبائل
ويفتح مجد النور...
.....
وردك الأبيض نامُ
فوق صدري...
وردك الأبيض مالُ
فوق خصري...
وردك اللوزيّ ذبلانُ على غصن المساء...
.....

أنا والأسوار
1975 - 1968

من قال لكم: ادعوا الإطفاء

يعجبني أن أحترق هكذا

بشرى

أنا والأسوار

أقول للصمت : جميل أنت.
لأني لا امتلكُ خنجراً أمزقةً..



قال السلطانُ : لا تُريقوا دمها فأنا أخافُ..
بل اسجنوها حتى تجف..



فليهطل.. ليهطل المطر..
وليتهدمُ سقفُ بيتي..



قالوا لي :
إنَّ ظهرك لا يحتملُ ضربةَ غُصنٍ..
ولذلك رجموني بالحجارة..



الرجالُ يحكمونَ العالمَ..
فليسَ لامرأةٍ مثلي أن تتكلمَ..



نامي.. أو لا تنامي..
لن تضري حزيناً بشيءٍ.



قالتُ أمي.. أقفلوا الأبوابَ فذلك أدعى للراحة..
وقال أخي.. كسروا النوافذَ،
فذلك أجلبُ للحزنُ !



اتصلت ليلة أمس بماياكوفسكي
قالوا لي : إنه نائم..



أقول للسماء : لم احضر يومَ جاءَ محمدٌ..
ولذلك.. يجبُ أن تُرسله الآن..



مسكينُ هذا القمرُ
غمسنا في دمه شوكَ أغانينا
ولكنه لم يتأوه..



إسرائيلُ تتجوّلُ في شوارع المدينة
أنا أتجوّلُ في شوارع المدينة
صدر بيانٌ ينكرُ ذلك..
لماذا يتدخّلُ الآخرون.. !



من قال لكم.. ادعوا الإطفاء
يعجبني أن احترق هكذا. ! !



أوقفني في مُفترقِ الدروبِ لص..
قال : ارفعي يديك فالطرقُ مَقفلةُ
قال صوتٌ خفيُّ :
تعلّمي أن تقولي كلمةً كرصاصة..
تلفتُ فلم أجدُ أحداً..
حينها فقط.. رفعتُ يدي.



عندما أكتبُ عن عينيكَ أحسُّ العالمَ يتّسعُ في قلبي..
يفتحُ فيه نوافذَ كبيرة،
وعندما أغمضُ أحسُّكَ تبتعدُ
وأحسُّ العالمَ قطرةَ دمٍ غائرةٍ في قعرِ قلبي..



بالأمس كتبتُ كلماتٍ إلى الألمِ
لم استلمَ الجوابَ بعد..



ولكنهم بالرغم من ذلك يدخلونها حفاةً..
مساكين.. !



رجلٌ غبيٌّ طرقتني بالأمس..
استقبلتهُ..
لكنهُ هربَ بعد ذلك لأنه اكتشف أنني غيبيةٌ !



تقولُ لي رفيقتي..
يوم خرج الفاتحونَ عبرَ الليلِ كنتُ معهمُ
لكنني تهتُ في الصحراءِ.. !



قفزَ من أمامنا غزالٌ شاردٌ..
تذكرُ جدي قيساً ، وجدتي ليلي..
وذكرتُ أمي الوفاء..
ولم اذكرُ شيئاً البتة.



والدي أحبُّ بجنونٍ أمي..
ولذلك تركها وتزوجَ امرأةً قبيحةً !



شجاعةٌ كنتُ بالأمس..
قال لي احدُ الرجالِ بأدبٍ :
إنَّ القمرَ لم ينطفئُ بعد..
صرختُ أشتمهُ أن كذابٌ أنت.. ومضيتُ.
قال الرجلُ فيما بعد.. إنه عذرتي..



كتب حبيبي يقول.. أنتِ خائنةٌ
قلتُ له مزقُ رسائلِي..



رجالُ مدينتي مساكين..
يحملونَ أحذيتهم دون أن يشعروا ويسيروا...
دوائرهم عاليةٌ فخمةٌ

صديقتي تتوسلُ إليّ أن أصحبها لترحلُ..
لكنني أخافُ الأسوار...
صديقتي جفَّ الحبُّ في قلبها فلم تُعدْ ترى السماءُ !



طالباتي يتساقطنَ في الظلمةُ
أم كم أحبُّ طالباتي.. !



صباحَ أمس ألقىتُ قصيدةً عن القدس...
قصيدةً طويلةً...

عصرَ أمس اعتلتُ طالبتي المكانَ وأعلنتُ عن كذبي
وزيفي..

بعدَ أن نزلتُ رأى الجميعُ زهرةً تُشرقُ في موطئ قدميها..



هددتُ السماءَ إن لم تمطرُ زهوراً في بيتي
فلنُ أصليَ بعدُ.



الشعراءُ يموتونَ ملعونين..
الشاعرةُ فتاةٌ تموتُ مخنوقةً.



يومَ صرتُ لفاقةً تبغُ
هربني رجلٌ طويلٌ في علبة دخانٍ..
ويومَ احرقني دارت السقوفُ وداخ العالمُ..
لكنني ظللتُ الواقفةً الوحيدةً..
وحتى الآن.. !



الطاعونُ عندما اجتاحَ المدينةَ لم يستأذنُ والدي..
ولذلك اجتاحهما الغضبُ !



صديقتي بحثتُ ألفَ عامٍ عن شيءٍ واحدٍ يُريحُها
فلم تجدُ..

أيتها الوردة الجبلية.

أجىء أم تأتين.. ؟

أيتها الشمس الجبلية

أجىء أم تأتين ؟

أيتها الثلج الجبلي..

أجىء أم تأتي ؟؟



جاءت امرأة تحملُ وطناً..

قال رجلٌ شربَ دجلة.. أسمحُ لك أن تحمليه..

من يومها والوطنُ يخضوضرُ ويتامى.



كتب حبيبي يقولُ..

حينما تُلغمينَ السورَ أكونُ قادراً على التفجيرِ..

قلتُ : اجلُ، فعلتُ ذلك.

قال صوتٌ :

نذرُ أشلاؤكما للأسوارِ..

السماءُ لا تمطرُ في بلادي يا سيدي القارئ..

ولذلك بقيت السطوحُ قدرةً..

ألا تمطرُ السماءُ في مدنكم أيها السادة ؟

السماءُ مغبرةٌ في مدينتي

ولذلك أبكي باستمرارُ

ولذلك ألعنُ طالعي.. ! !



يوم قُلتُ دفنني والدي في مغاورِ الثعابينُ

لكنتني تعلمتُ أن أبعثَ وأبعثَ وأبعثَ..!



قال لي رجلٌ عيناه بحيرتا فرحُ

أتريدان أن توقعي لائحةَ الوجود بالحضورِ.. ؟

ليس إلّا أن تنزري بقلبِ الريحِ إذن !



ضحك وجهٌ صامدٌ في دمي..
مدَّ كفُّه عبْرَ الجدارِ حبيبي
طلعتُ فرسٌ من رجمِ الأرضِ..
وامتدتِ الغرفةُ سهلاً ضاحكَ العينينِ..
لم أدركُ كيفَ بدأ الطاغوتُ يتوارى
ومن يومها وأنا أسمعُ تفجّرَ الأغمامِ..
والبذورُ لاتنفكُ تنمو،
وترحفُ بالثورةِ الحقولُ..

العبور

من أحلك الجدر يبرزُ وجهك في ظلم قلبي
أيها الصديق الذي لا ينفكُ يعدبني فأحبُّ به العذاب...
عاشقةٌ أنا مرةً، وميتةٌ أخرى...
وقريبٌ أنت، بعيدٌ..
أيها الوجه الملاحقني فلا هو يملُّ ولا أنا أسلو..
ألوبُ أنا كطفلٍ وجيعٍ..
وأنتظرُ عينيك تكسوانٍ بالحبِّ قلبي
عليلةٌ أنا... معافاةٌ.
وهاربةٌ دانيةٌ...
في الشمال تسبقني إلى القمم فأراك في لجين
الماء رقيقاً نقياً كإله.
وفي الجنوب يصحبي وجهك قمراً راقصاً من

سعفات نخلةٍ لأخرى
وفي الوسط إذ تلمعُ النجومُ أكثرُ،
أنتفضُ مجنونةً أصرخُ.
ثم اسقطُ هامدةً حينما أدركُ أن ليستُ ذراعك المتدلّيةُ
من السماء لعناقي...
وبعيداً عن الوطن...
تصحبني داخلاً وخارجُ.
وطناً لا أملكُ إلا الانتماء إليه..
يا كلَّ السمواتِ الرائقة لا أملكُ أمام صفائها غيرَ الدمعِ
وكلَّ الحقولِ المتدلّية بالثمرِ أنت...
حينما تغيّمُ عيناك أنزرعُ في ارض عقيمٍ...
وعندما تبسمانِ أزهرُ وأزهو..
وهي في وصلك والهجرِ توحدُ صوفيةً هائمةً..
يا وطني الأوّل والأخير..
رقيقةً الجناح كنتُ...
لكنك علمتني الغوصَ في بحور الحلم فاستعذبتُ حتى
الفرقُ
خالدٌ هو الشوقُ إليك، وميتٌ فيك الصبرُ،

يا كلَّ النور المنبعث من كلِّ الحقائق..
أعشقُ وجهكَ الفضيّ أنا..
أضمُّهُ إليّ.. أبكي..
وكفيمة صيفٍ تجيءُ وتذهبُ
فأبعثُ فيكَ وأفنى..



آه.. حينما علمتني الصبرَ قذفتُهُ ورائيَ
مهشماً ومضيتُ...

ووجدتُ أن خيرَ ما في حبكَ الاحتراقُ.
أقولُ... لو مرةً تجيءُ إليّ
لو تمسحُ بالحنانِ جراحي..

في لحظاتِ الوصالِ أحسُّني شمعاً نقياً ذائباً في وهجِ العطاءِ
وفي الحجرِ ينزرعُ العلقمُ في غورِ قلبي..
وأقولُ.. متعبٌ هو الحلمُ ورائقةٌ هي الحقيقةُ،
وبيني وبينك حقيقةٌ لا استطيعُ تخطيها...
هي أنني أحبُّك..



في كهوفِ صمتي المغتربِ يغمرني وجهكُ..

صافيا كبحيرة نجوم صيفية..
ضبابيا كليلٍ وثنيٍ غارقٍ بالبخور..
أيُّها الوطنُ الذي أحببتُ لعنته
مقفرةٌ هي السماءُ، مجدبةٌ الأرضُ،
وعقيمةٌ عيونُ الرجالِ..

والغصونُ تساقطُ كأشلاءِ جنيةٍ محروقةِ الجناحينِ..
وأظلُّ أنتظركُ...

في شفقِ جُرحي الرائقِ كقوسِ قزحِ ربيعي..
أطرقُ عليكَ أبوابَ ليلِ بلادِي الغارقِ بعبقِ
شذىٍ سحريٍّ باباً فباباً..

أرأيتَ ليلَ العراقِ.. أنتُ ؟ !

أرأيتَ أجنحةَ النخيلِ تتسابُ بالنسيمِ نشوى
كذراعيِ عروسِ عذراءِ..

أرأيتَ متاحفَ الجانِ تتراقصُ غجريةً في لجينِ دجلةِ الهادية..
أتحسُّ روعةَ أن تسقطَ شهيداً في ليلِ العراقِ ؟

أعشتَ لذَّةَ هذا الفرحِ الشهيِّ في قلبي وهو يضربُ
أجنحتهُ خارجَ الحدودِ ؟

أنا أنتظركُ...

وأراك تطلُّع..

في منابت الرصاص تطلُّع..

في جباه العائدين نحو شجر الفرح تطلُّع

في ضفائر الصبايا مُضمخةً بندى العبير تطلُّع

في حقول الرياحين تُنيمُ قلبي

فوق وسائد حزنٍ وردي..

أبحثُ خلالها عن وطنٍ أرتديك فيه ولا أنزعكُ

وطنٍ أمتلكك فيه امتلاكك.

أنا المصنوعةُ من كلِّ خوفٍ العصور.. أنا !

المجلودةُ بدهاليز شهريارٍ القسر حيثُ الجريمةُ

والبراءةُ توأمان..

مذعورةُ أغوصُ في رمالٍ وجدرٍ أبدي..

يدفئني إذُ أحاولُ دفنه

أنتقلُ بين فردوسه والجحيم..

حيثُ لامطهرَ بينهما..

وأظلُّ هناكَ سجيناً اللذةِ والألم..

غارقةً بإثم فضيلةٍ نشوى..

أقطعُ فوقَ جسور الخلاصِ في اللحظةِ ألفَ مرةً..

وحيثُ لا خلاصُ !

أيتها الأرواحُ التي تعلنُ وجودها بين جنبي..

أيتها القلوبُ التي تضطرمُ في قلبي..

أيتها الأجنحةُ التي ترفعني إلى العلى..

أيتها الأيدي البيضاءُ التي تؤرجح كلَّ مراجيح الصغارِ في

روحي

ها أنا ذي لاهثةً أجيء..

أقذفُ ببركة الحبِّ نفسي.

أستسلمُ.. أستسلمُ

وبعمقٍ موجها أرسو.

على شواطئها الخضرِ أصلي..

أنضمُّ لجوقة الشاكرينَ هناك..

حيثُ أعلنت الآلهةُ أن ترفعني نجمةً في السماء..

وحيثُ يرفلُ المحترقونَ بالشوق في نعيمٍ دائم.

وكلاً في سماء..

أيها المحترقونَ رفاقي..

ها أنا أتطهرُ بجحيم الحنينِ للمرةِ الأخيرةُ

تُناثرُ أشلائي الخالدةُ للمرةِ الأخيرةُ...

تُعلنُ فناءَ الفناءِ في..
تؤرجحني بينَ السماءِ والأرضِ
حيثُ أضمُّهما بعنْفٍ وأسكرُ
تفتُّ ثمارَ الحياةِ في قلبِ أغنيتي
أغنيةَ الإنسانِ المضيِّعِ. !

.....

وحين يفقدك الآخرون..
وطويلاً يبحثون عنك
يجدونك مختبئاً في أعماق نبضِ حالمٍ اسمه.. امرأةٌ
تضربُ صدرها المذعورَ أُمي
ويصفقُ والذي يداً بيدُ.
فهذه المرأةُ المتدفقةُ شلالاتِ ضوءٍ
المتفتحةُ على جسدِ الليلِ كوى
الراسخةُ في قلبِ غابةِ الصنوبرِ
هذه الفتاةُ ابنتُهُما. !
وتفيضُ مياهُ الخليجِ , تفيضُ
تغطي مرتفعاتِ الشمالِ والذرى
وتتضحُ عيونُ الجبالِ خمرَةً نقيّةً لأسكر..

وتتفتقُ الجدرانُ عن زنايقِ حُمُرٍ
وتتحركُ الدارُ العتيقةُ زاحفةً بالسلاسلِ..
تقذفُ حفنةَ تريبٍ في عيني (هؤلاء..)
وتمضي..
وأسألك..

من يستطيعُ إيقافَ زحفِ الدورِ هذه..
من يستطيعُ إسكاتِ الجذورِ المتأزمةِ في أعماقِ
هذه الجدرِ الصدئة..
أسألكَ من يستطيعُ أن يمنعَ امرأةً في المخاضِ
من أن تلد.. ؟
أقول..

أن أحبَّك يعني أن أكونُ،
فحبُّك الثورةُ التي تحتلُّني كما الروحُ..
الغائمةُ فيِّ كما الحلمُ..
الضاحكةُ كعينيكِ،
والمتفتحةُ كالزهرِ..



أيُّها الزمنُ المستفيقُ بجرحي ترجلُ كما شاءت الثورةُ

الموتُ الحياةُ
أيُّها المنسابُ في أغنية الأبديةِ
نديةٌ لا تنفكُ فوقَ شفاهكُ..
طروبةٌ تتسلقُ عرائشَ قامتكُ
عاشقةٌ تلتئمُ أزهارَ الرفضِ عبرَ أسواركُ..
تلملمُ قطعَ المحارِ التثرُّها عيناكُ في أرجاءِ هذا العالمِ..
لتخبئها في طياتِ ثوبي
وأنا لا انفكُ أشرعُ للريحِ ثوبي
كي أعيدَ زرعكُ من جديدٍ
ولكنُ في حدودِ المحبةِ..
أيُّها الوطنُ المحبةُ
أيُّها الوطنُ الدمُ..
أيُّها الوطنُ الشهيدُ
ها أنا صامدةٌ في أعماقِ الريحِ أقتلعُ جذرَ السورِ..
عاتياً ينغرسُ في أعماقِ قلبكُ وقلبي
ها أنا أهزُّه عبرَ ليلٍ مسخٍ
تغزوهُ البومُ والغريانُ
يُساقطُ فوقَ رأسي حجارةً شوهاءَ

الأمُّ لن افزعَ -الليل- إن بان وجهكُ
في ضوءِ عيني أو صارَ للحزنِ أجنحةً،
أو تئاتتُ سقوفُ المنازلِ أو غازلتني
النوافذُ في سحرٍ مثقلٍ بالندى والخواطرِ
يا زهو ما ضُمَّنتهُ القلوبُ
ويا... عزَّتْ الكلماتُ.. !

.....

أيُّها الربيعُ الخريفُ..
أيُّها الشتاءُ الدافئُ المنسابةُ فيه أغنيتي..
أيُّها الصيفُ المورِدُ العينينُ
يا كلَّ الفصولِ أنتُ..
أهزُّ شجرةَ الحياةِ فتسقطُ عيناكُ..
أهزُّ شجرةَ الأيامِ فيظللني حبُّكُ..
أفتحُ نوافذَ الزمنِ فيطلعُ وجهكُ..
أفتحُ ذيلي للنجومِ فيملؤني وجودكُ..
أيُّها المنفيُّ في - المنزرعُ في قلبي.
أيُّها الشمسُ المطرُ

يَرَكُّهَا قَمَرٌ مَهْجُورٌ..
ها أنا يدفئني صقيعُ العالمِ..
تغتالني الريحُ..
ها أنا أتشردُّ، أغتربُ، أعرى
لكني أبدأ غنيةً بك..
أيُّها الفرحُ الصارخُ في كلِّ نبضةٍ وجعٍ..
يُعلنُ وجودَهُ العاشقَ في كلِّ ومضةٍ شعرةٍ.
أتجددُ به يتجددُ بي نطيرُ
وعبرَ الأسوارِ يصيرُ كلُّ اثنينِ واحداً..
ويدبلُ الصُّبَارُ !

أيُّها الرجلُ الجنَّةُ...
غابةُ الزقومِ تشتعلُ خلفَ الحدودِ
وجدولٌ مستلقي الأطرافِ أنتِ...
أتضرَّعُ إليكِ بثمري المبتورِ أن تُطفئِ اشتعالَ الغابةِ..
في المدينةِ المنتظرةِ تتأرجحُ الفوانيسُ
ووراءَ الفوانيسِ عيونٌ فارغةٌ اللونِ تنتظرُ أن تعيدَ لها
مفاتيحَ السورِ...



أيُّها الجميلُ المطاردُ.
تعال... لا تجئِ..
أيُّها الجميلُ المضطهدُ
تعال... لا تجئِ..
فهولاءِ المتلفعونَ بشعاراتِ الغدِ...
يلقونكَ في أعماقِ الجُبِّ باسمِ الحبِّ..
يذبحونكَ في مجازرِ الرجالِ باسمِ الحبِّ..
الحبُّ صارَ خفيفاً سهلاً الاجترأخُ
ومن يومها صارَ الرجالُ يعقدونَ معاهداتِ جمَّةٍ
وصارتُ عيناىِ تتفتَّقُ عن جمرٍ يُشعلُ خرائبَ المُستضعفينِ..

الفارس

في أعماقِ بحيرةِ الدمِ كنتَ تخلعُ ملابسَكَ وتحترقُ..
حينما أبصرتِ السماءُ ذلكَ أمطرتُ أطفالها المحترقينِ
وفي غابةِ حبٍّ مشتعلةِ الأغصانِ كنتُ
عاريةَ الصدرِ أنتظرُ قمرأ لم تطأهُ قدمُ أميركيةٍ
وفي ليلةٍ بهيميةٍ شاتيةٍ..
من جذورِ الشجرِ الراسخِ كنتَ تطلُعُ
تطفئُ اشتعالَ الغصونِ بالدمِ، السلامِ، النقاءِ..
وكان قلبي لُغماً راسخاً في صميمِ الترابِ..
فلماً أحسَّ اشتعالَ الأرضِ تفجَّرَ عناقيدَ تفاحٍ بينَ
أيدي المقاتلينِ...



واعتادتُ وجنتايَ التعاملَ معِ الجمرِ..



ومعك أيتها الفارسُ كنت أحلمُ كلَّ ليلٍ بطفلةٍ ناريةٍ

العينينِ أسمىها علياءً...

فلما قيدوك بشعرها الحريرِ اختنق الحلمُ وسقطتُ

علياءُ مرةً أخرى..

أيتها الرجلُ الفارسُ

تعالِ نُعدُ علياءَ إلى ذرى الحلمِ،

تعالِ نُعدُ لها في تشرينِ الجديدِ زهرةً وشراعاً ودُماً..

أيتها الرجلُ الحلمِ..

تعالِ... نعبزُ مرةً أخرى...

الاعتراف

وتتهارُ جسورُ بغدادَ.. تتهارُ..
وتسقطُ ليلى المهجورةُ في بوادي الجزيرةُ
جثةٌ عارٍ تدوسُها أقدامُ المهديِّ والمجنونِ...
أيّ عويلٍ هذا الذي تُعولُهُ بغدادُ في غورِ رُوحِي..
أحسُّ صراخَ الأطفالِ يُشاركُ وجعَ الحقيقةِ
تسقطُ ذبيحةً في ليلِ قلبي..
صامدةٌ تسقطُ دونما أنّةٍ حزنُ
وككلِّ مرةٍ أضْمُها الليل.. أبكي..
حزناً وفرحاً.. أبكي..
يأساً وأملاً.. أبكي
أنا الغازلةُ شوقك في كلِّ خيطٍ حاكهُ الشعرُ.
خالدةٌ خلودَ ميلادك المتفجّرِ فيّ ضفائرَ أملٍ..
أنا المُشرِعةُ أغصانَ حزني بكَ لسماءِ الحقيقةِ..
أخضِلُ بنائها بدمِ كلِّ شهيدةٍ سقطتْ وتسقطُ جيلاً فجيلٍ..
أنا الهاربةُ منك، لكنْ إليك..
أنا الوفيّةُ.. الخائنةُ..
الشهيدةُ.. اللعينةُ..
الشجاعةُ، الخائفةُ

أتأرجحُ في بحورِ عينيكَ من خليجٍ لآخرُ
أنا الراكبةُ في قطاراتِ ضياعك الأبدِي..
الراسيةُ في كلِّ المدنِ الغريقةِ العينينِ.
أيُّها الفرحُ الذي ما طلعتْ أزهارُهُ بعدُ.
أيُّها الوجعُ القديمُ.. القديمُ
قطعةُ جليدٍ يذوبُ قلبي بين يدي شوقٍ فادحٍ...
وضياءُ عينيكَ يلتفُ ثعباناً فوق جيدِ كلِّ حلمٍ لي شنقتهُ،
أو هو ينتظرُ...
أعضُ القلمَ... حتى الكسرُ
وأضربُ على الورقِ بكلِّ الحجارةِ الرجيمةِ
تقاذفُها عيناك في مُقلٍ مقلٍ قلبي...

وأنتَ الوفيُّ... الوفيُّ. !

من وجع العصور جئتُكَ تُساقطُ عناقيدَ دمعٍ في جراح قلبي..

من وجع كلِّ الجُدرِ والزوايا.. أتزيّنُ لها

أحلمُ بعينيكَ تطلُعانِ في حلكِ ذلكَ العالمِ.. المواتِ..

أتكحلُّ..

أعبرُ بكِ أسوارَ الحزنِ تقفُ رماحَ حقدٍ

في رياضِ مدائني المنسية..

أتصوّرُكَ طالعاً وراءَ كلِّ غصنٍ

متخفياً بينَ الشجرِ..

انتظرُ أن تخفيَ بكفيكِ وجهي لأتحسّسَ أصابعك

والهتَّ صارخةً باسمك..

أفتحُ النافذةَ في الليلِ ألفَ مرةٍ... أقفلُها.

أتحسّسُ وجودك في كلِّ شيءٍ..

فأراك.. ولا أراك. ! !

أغوصُ في خضمِّ عالمٍ مستفهمٍ غريبٍ..

أحاولُ أن اكتشفَ ماهيةَ هذا الشيءِ الذي يفصلني عنك..

أحلمُ بفجرِ نارٍ يدمغُ هذا الليلَ ليحملك إلي..

وأظلُّ أحلمُ بك..

أنامُ بالحلمِ، أستيقظُ به،

ألوبُ، أبكي..

أتعلّقُ بك في زحاماتِ سُننِ اسطنبولِ

في غروبِ مساجدها..

أضمُّ معكَ طيورَها الغافيةَ في الأفياءِ..

أجوبُ بكِ بيروتَ العابثةَ بوجنةِ البحرِ..

أعانقُكَ فارساً طالعاً من أعماقِ جرحِ النيلِ وهو يغسلُ

وجهَ القاهرةِ المُحاصرِ..

أطيرُ في سماواتِ بغدادَ أنصهرُ بجحيمِ شمسها الأبدي..

أسكنُ نجومَها والقمرِ..

أحلمُ.. أحلمُ..

ثمَّ أغوصُ في النهايةِ بقاعِ وحولِ الحقيقةِ..

ملطخةً بدمِ الحزنِ والأملِ والفرحِ..

وأظلُّ رغمَ ذلكَ أحياءً..

باليأسِ، والحزنِ، والفرحِ..

◆◆◆

أوه.. مريزٌ هذا العطبُ تُحدثُهُ أشواكُ قلبك

في رياضِ روعي..

وكلُّ عناقيدِ الفرحةِ المتدلّيةِ من ذرى النخيلِ..

تتكورُ حزمَ حنظلٍ في قعرِ قلبي..



من وراء المسافات..

ومن هذا الفراغ الهائل يحضرُ له أخاديدٌ في غورِ روحي..

أناديك.. لاتعدن..

لا تجرحِ عذاباتِ غيابك المستكين، بآمالِ عودتك..

فالأملُ المشنوقُ يعدُّبني..

وشوارعُ المدينة المزدهمة بأطيافكُ

ألتحمُ بكلِّ زاويةٍ من زواياها بصدقٍ

لتزرعَ عيناىِ الحلمَ في كلِّ خطوةٍ لا تريدكُ

أن تجيء..

أقول لك..

حضورك الدائمُ فيّ يعدُّبني

يجعلني أخطو فوق رؤوس الناس.. أعاكسُهُم

أحوّلُ أغبياءَهُم إلى دميّ اقدفُها وسطَ النهرِ لتطفو..

أعانقُ ثوارَهُم.. أقبّلُ وجنةَ بنادقِهِم، وبصفاءِ أبتسم.

أقول لك...

كلُّ النساءِ التعيساتِ ينتحبنَ في قلبي..

كلُّ جثثِ الأطفالِ مكدّسةٌ في قعرِ بيتي..

كلُّ القصائدِ رمادٌ.. وأنتَ بعيدٌ.

أقول لك..

السورُ العشرونُ ينهارُ ليقومَ سورٌ آخرٌ..

وأنا للمرّةِ العشرينِ أقولُ لك.. أخافُ الأسوارَ..

وأنتَ لاتبتسم، لاتخطو،

وإنما تظلُّ ملتصقاً بالجدارِ.. !

.....

أيُّها الفرخُ النازفُ المجرّحُ عيني..

تعالَ إلى هنا..

خُذْ أطيافَكَ من شوارعِ مدينتي..

خُذْ أشياءَكَ من فوقِ مناضدي..

خُذْ أزهارَكَ من أعماقِ روحي..

أقول لك..

كلُّ اللياليِ تمرُّ وأنا بانتظارِ أن أنام...

كلُّ العمرِ يمضي وأنا بانتظارِ أن أشفى..

كلُّ الوردِ ينحني.. بانتظارِ أن تسقيه..

أقول لك..

وأجيبك بوجوه الطالبات زهراً يطرزْنَ غلائلَ عرسي..
اجرُّ لك في قطارات الحزن بساتين اللوز
أحزُرُ كلَّ غصنٍ من أغصانها إن كنتَ تحبُّني أم لا..
وأرسمُ على الشواطئ وجهك..
على الموج وجهك..
آه لو تستطيعُ فيروزُ ألا تبكيَني بهذه المرارة.
آه لو أستطيعُ أن افعلَ كما فعلتُ فأردُّ لك مكاتيبَ
الألم بالهدى..
آه مَنْ يرحمُني مِنْ هذا القلب فيزرعُ لي قلباً آخرُ
قلباً فارغاً من عينيكُ ومن حزني..
فارغاً من زحام حبِّكُ أعيثُهُ العمرَ وحدي..
آه لو يستطيعُ العذابُ أن يهجرَ وطني..
اذن لا اعتليتُ القمة، واحتضنتُ العصافيرَ
ونمتُ طويلاً... هناك..
آه لو يستطيعُ هؤلاء الشبابُ ألا يموتوا..
في لبنان وفي القدس،
في عينيِّ وقلبي....
وعلى الشواطئ المبهورة بدجلة
الغافية على ساعدي

تعال لأسألكَ عما أريدُه..
وصلكَ أم الهجر.. ؟
قربك أم البعد.. ؟
لأقولَ لك.. كلا ذلك يُعدُّبني..
وما أريدُه شئٌ كبيرٌ..
كبيرٌ كحبي..
يومَ غفوتُ حلُمتُ أننا غصنانِ في ذرى
السُّدرة..
وأنَّ الله يُباركُ بكفيه وجهينا
ومن يومها وأنا موقنةٌ بالخلود معك. !
❖❖❖
ما هذا الشيءُ العجيبُ الذي يرفعُني إلى العلى..
يهددُ قلبي فترفُ رُوحِي..
يجرُّحني.. فأكبو،
ما هذا الذي يناثرُني فوقَ النجوم إرباً..
يبعثُني مع الوصال طائراً طليقَ الجناح..
ما الذي تريدهُ عيناكُ الجارحتانِ من قلبي ؟
أحملُ أنا لك لوحَةَ عيون الأطفال تزهَرُ بأحلام عودتك.. ؟

المتزجة بالدم..



أين أنت.. ؟

ألوبُ بالسؤال.. أين أنت.. ؟

أتوجُّكَ بتيجانِ مملكتي ، وازرعُ في قلبك وردةً حمراء..

أين أنت.. ؟

أضمُّ وجهك إلى قلبي ،

وألونُ لك وجه القمر..

فيومَ تجيءُ سيصيرُ للجدرانِ أجنحةً وللأركانِ أيدي..

وسينبعثُ حصى الأرضِ فراشاتٍ حمراءَ وخضراء..

طائرةٌ بنشوة الفرخ..

مضيئةٌ بوهجِ قدسي ينورُ قلبكَ وقلبي..

آه.. حينما يصيرُ كلُّ شيءٍ غيرَ موجودٍ..

ويصيرُ وجهكُ سيدَ العالم..

أصبحُ ملكةَ الأشياءِ أنا...

وتهوي العروشُ !!



أيُّ وجع هذا الذي تُضرمهُ أشياءك في ...

أمزقُ الورق..

أفتتُ الحروفَ والأسطر..

هاربةً أغمضُ عيني

لكنني أعودُ لأقرأك في سفرِ روعي..

أتصبرُ بالسنينِ تُضمِّدُ شهورها عمري

فإذا بها شهراً فشهر.

تجلو وجهك في غورِ قلبي

وإذا بكلِّ سنة توقظُ ما نامَ من جراح..

كلُّ الجمالِ يذكرُّني بك..

كلُّ الفرخ.. كلُّ الحزنُ

كلُّ راياتِ الثوارِ

كلُّ مسرةِ النصرِ

ويومَ رُفعتُ إلى الفردوسِ

ووجدتني وحيدةً وسطَ النعيمِ بدونك

أنشبتُ بوجوهِ الملائكةِ أضافري

وتحتَ أقدامِ الشهداءِ تمرَّغتُ

حينها قذفوني إلى الأرض..

وهنالكَ وجدتُكَ واسترحتُ !

فحينما مددت لي يديك صرتُ الماءَ الزلالَ يشربُهُ العطاشُ
وعندما أخذتني انسكبتُ شلالَ فرحٍ في أعين البائسين..
ولما أعطيتني عنقودَ الأملِ أزهرتُ مقابرُ المنتحرينَ
وصار الحبُّ طفلاً أداعبه..
طفلاً تسقطُ عندَ قدميه مطارقُ الحزنِ وتفتتحُ نوافذُ الوطنِ..
طفلاً تتسابُ في عينيه شوارعُ المدنِ الغائبةِ
تتكسّرُ في أعتابها خناجرُ الطواغيتِ...
أيُّها الوجهُ الغاربُ المحاصرُني..
ها أنا ذي أتشربُ النورَ وأمنحُ المحبةَ..
ها أنا أتفجّرُ في أعماقِ أسطورتك رصاصَ فرحٍ
تتمو به أجنحةُ أُملي الممرغُ بوحولِ ألفِ عامٍ مضى..
أيُّها الوطنُ الذي يمنحني اسمه ووجهه ورواييه أناديك :
سأجيء..
فيومَ هجرتكُ اختبأتُ في أعماقِ قنفتي...
ومن يومها وثقتُ في صدري يتسع...
ويعجزُ عن الوصولِ الدعاءُ.. !
ويوم نسيتهُ نما الشوكُ في جسدي..
وظلُّ يتكوّرُ ويتكوّرُ دمي..

حتى انفجرَ بك أشجارَ فرحٍ ورايات..
يا وجهَ اللهِ المستقرُّ في قلبي
يا أصابعَ الضياءِ تتغلغلُ في ليلِ روحي
غريبٌ هو وجهي الذي لا يحملُك خالاً في وجنتيه
وبائسٌ قلبي المحتضنُك جمرَةَ اشتياقٍ..
وأنا أحبُّك ضائعاً بلا قرانٍ..
أغتربُ لأزدادَ اقتراباً منك..
أذوبُ لأنسكبَ شعراً يغني لحبك..
يا رايةَ كلِّ أسفارِ العذابِ أنت..
يا مُزنَ فيروزِ نُكهربُ قلبي الطائرَ بالأملِ..
أشربُ خمرةَ عينيكِ،
أرتوي بها.. أغفو..
هاك قلبي شمعةَ خلودٍ..
وعيني حقلِي زهرٍ..
ووجهي خيمةَ اغترابٍ...
❖❖❖
خُذني إليك خُذني
ترفني مواكبُ الحورِ يُغنينَ ألمَ قلبي

كل ذلك أعيشه وأنت معي..

.....

أقولُ لك..

لاتجرّحني بجداول حنانك المنساب هذا..

لاتمزقني بسياط هجرك ذاك..

وارحمي من وهج عينيك المقتلع جذور قلبي..

أقول لك دبرني..

الظماً لا أطيعه..

المطر لا أطيعه

وعيناك نار تكويني..

أقول لك...أحبك..

وتشبُّ حرائقُ البنفسج في قلبي

احبك وتنهمرُ ضفائري..

احبك وتهجرُ جذوعها الأغصان. !

❖❖❖

آه شريدهُ أنا احملي كل مفاتيح الحزن في قلبي

أنذبحُ بكل سكاكين الأمل في قلبك

أتمناك...

وينثرنَ لعودتك أزهاراً وأطفالاً..

آه.. تذوي الغصونُ فما يداك الغصونُ

ويجفو المطرُ بلادي فليسَ عطاؤك المطرُ..

أنت الوطن المعرّش أبدا.

والأم المنشورة الجناحين أبدا..

الخالدة.. أبدا

ولذلك لا انفك أفيديك...

أنا الموجعةُ اللائبة العينين بانتظارك..

وحيدة أتحسس وجهك إلى جانبي

أتحسس عينيك في وجع قلبي

أتحسس هذا الحزن المخضرم في سنابل فرح..

.....

..... رأيت قناديل الجامع النوري ليلة العيد..

وشموع الحدباء تتثال أنواراً راقصةً على وساد الموصل...

وحلم الأطفال بالسكر والدمى..

أرأيت وحول الشتاء أخوضها ليلاً أخاف عيونهم

تمزق حرير ثوبي.. ؟

أتحسستُ فرحك بميلاد القصيدة..

أغمضُ عينيَّ فأراك هابطاً من العلياء
تحملني بجناحيك إلى الجنة..
حيث تسقط كفي الباردة بين كفيك..
وهناك تضمُّني إلى الأبد..
أيها الرجل الذي قتلني..
سعيدة أنا بموتي..
سعيدة ببعثي
سعيدة أنا بك..
وسيان ألان وصلك والهجر
فاعذرني أو لا تعذرني..
يوماً ما.. طويت السماء والأرض،
وسلمتُهُما لعينيَّ رسالة حب
ثم عدتَ فانتزعتَ الأرضَ والسماء..
أيها الوطنُ الذي لعينيه أكتبُ وأتعذبُ وأصلي...
أنا العجربةُ الساقطةُ في قعر عوالم الحضر
المخنوقةُ بأكفانٍ مدنيَّةٍ غاربة..
أنا المهجوةُ بكَ وفيكَ من عكاظٍ للآن.
أمضُ شظايا الزجاج المتطاير من دعوى سلامك..

برضى أبتلع سكاكينك والدم..
وأخفض لسمائك جناح الألم..
أقول لعينيك.. أخافك
أقول بكل أجنحة الالهة.. أريدك.
أوسدُ راسي المتعبَ صدركَ والحلم..
أزينُ بأوسمة عينيك شعري..
أخبئك بين هدبي والهدب.
أتقلُ في مدن قلبي الصاحبة بحبك..
المطيرة بحبك..
أتجولُ في سوح سماء خضراء
أمطرُ أمطر..
أقول لعينيك... ألف مرة :
لا أحبك..
بكل هذا الحب.. لا أحبك..
بكلُّ هذا الحزنِ هذا اليأس،
هذا الأمل..
لا أحبك !
ويحدقُ وجهك المنفرسُ في خناجر لهب..

أجئُ إليك وتسقطُ
تسقطُ أقنعةُ الاعترافُ

يحدقُ..
آه بيتسمُ يتناولُ بكفيه وجهي..
وارفضُ..
أرفضُ ضمادك أيها المجرحني برمح ذي حدينُ.
أرفضُ حريرَ كفك أيُّها الزارعُ فيَّ بيادرَ شوكٍ..
أرفضُك تجتثني من السكينة لتقذفني في الطوفانُ..
أنا الحاملةُ أوزارَ دولتك المنهارة
دونَ أن تُسلمَ الرايةَ بعدُ..
أنا الحاملةُ عينيكَ شارةَ انتصارٍ أدخلُ بها
كلَّ المدنِ المسييةُ..
واكفرُ بالهزيمةِ.. أكفرُ
لأنكَ معي..
وبك في الختامِ أرسو
أقذفُ العالمَ كرةً صغيرةً لأجىءُ إليك..
أمرقُ جلايببَ الغيومِ تحجبُ قنديلَ وجهك عني..
وأظلُّ ألوبُ بك..
لا أشبعُ من سعفِ النخيلِ..
لا أشبعُ منك...
أيها العالمُ الأبدى القسوةُ والحبُّ والفرحُ...

الشاعرة الأستاذة الدكتورة

بشرى البستاني

• حاصلة على:

- تسع شارات للعلم والإبداع من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ووزارة الثقافة والفنون.
- وسام الأستاذ الأول على كلية الآداب، جامعة الموصل، 2000.
- وسام الأستاذ الأول على جامعة الموصل، 2011.
- وسام الأستاذ الأول على الجامعات العراقية ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي 2012.
- دروع الإبداع من: جامعة الموصل 2009، من الجامعة الحرة 2009، من محافظ نينوي 2009، درع ملكة الحضر من طب الموصل 2010، درع الإبداع من وزير التعليم العالي 2012، من محافظ نينوي 2012، من نقابة المعلمين 2012، من معرض الكتاب الدولي 2012.

• الكتب:

1. دراسات في شعر المرأة العربية، دار البلسم، عمان/1988.

2. قراءات في النص الشعري الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر/2002.

3. الإيقاعي والدلالي، قراءة في قصيدة السلام المباح للشاعر عبد الوهاب إسماعيل، الإتحاد العام للأدباء/2010.

4. في الريادة والفن، قراءة في شعر شاذل طاقة، دار مجدلوي، عمان/2010.

5. وحدة الإبداع وتداخل الفنون، قيد الصدور من دار فضاءات، عمان/2012.

• الدواوين:

1. ما بعد الحزن - دار النهضة، بيروت/1973.
2. الأغنية والسكين - وزارة الثقافة، بغداد/1976.
3. أنا والأسوار - جامعة الموصل/1978.
4. زهر الحدائق - وزارة الثقافة، بغداد/1984.
5. أقبّل كف العراق - وزارة الثقافة، بغداد/1988.
6. البحر يصطاد الضفاف - وزارة الثقافة، بغداد/2000.
7. ما تركته الريح - منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001.
8. مكابدات الشجر - وزارة الثقافة، بغداد 2002.
9. أندلسيات لجروح العراق - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2010.

10. مخاطبات حواء - دار شمس، القاهرة 2010.
11. مواجع باء / عين - دار مجدلاوي، عمان 2011.
12. كتاب الوجد - دار فضاءات، عمان 2011.
13. هواتف الليل / مجموعة قصصية - دار دجلة، عمان، 2012.
14. الأعمال الشعرية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2012.
15. خماسية المحنة / مجلد لخمس مجموعات من النص المفتوح وقصائد النثر - دار فضاءات، عمان 2012.

• دواوين مشتركة:

1. أشعار رغم الحصار - ديوان مشترك، القاهرة / ط1، 2001.
2. مسلة العراق - ديوان مشترك، الإتحاد العام للأدباء / جامعة الموصل، 1994.
3. الموصل في عيون الشعر - جامعة الموصل، 2010.

المحتويات

صفحة	العنوان	
7	الحب 2003 / رواية شعرية	.1
75	كتاب العذاب	.2
137	كتاب الوجد	.3
201	غرائب الكون	.4
231	- وهل ترثي الجبال	
243	أنا والأسوار	.5
247	- أنا والأسوار	
259	- العبور	
271	- الفارس	
275	- الاعتراف	
293	السيرة العلمية للأستاذة بشرى البستاني	.6